

بَيْعُ الدِّينِ بِثَمَنٍ مُّهِينٍ

صور من القرآن والسنة
من أحوال المنتكسين ممن
قدموا الدنيا والشهوات على الدين



تأليف

أبي المنذر محمد بن عبد الله بن محمد بن قزويني الحواري

عُفِّرَ اللَّهُ لَهُ وَلِدَايَهُ وَمُشَافِكُهُ وَالْمُسْلِمِينَ

تَقْرِئُكُمْ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَمَةِ
يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْجَبَرِيُّ عَفَظَهُ اللَّهُ

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع
اليمَن - عدن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صور من القرآن والسنة من أحوال المنتكسين ممن

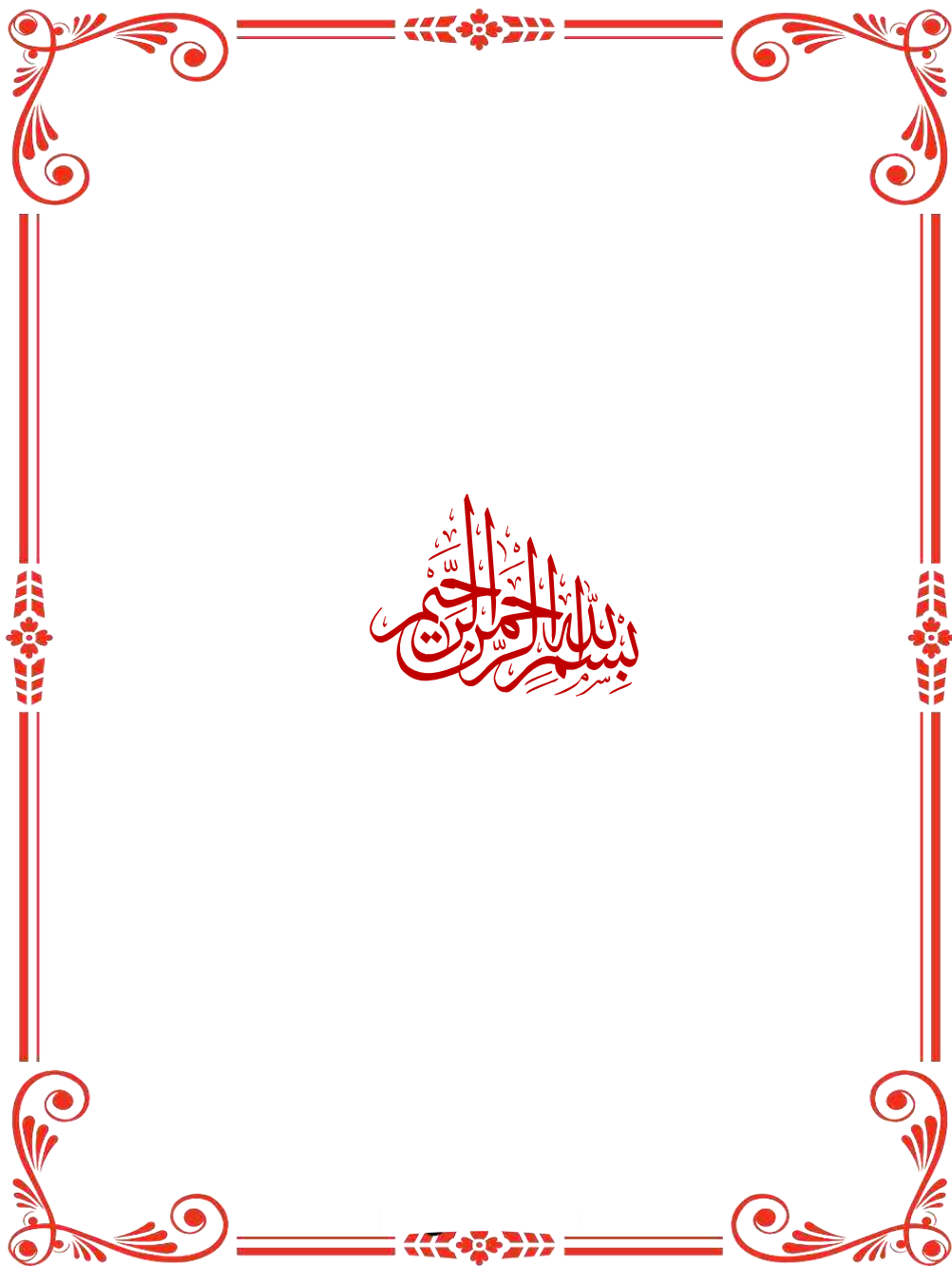
قدموا الدنيا والشهوات على الدين

تَقْدِيمُ
فَضِيلَةِ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ
يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْحَمُورِيِّ

تَأْلِيفُ
أَبِي الْمُنْزَرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَمُورِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٤٧ هجرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن ما أخرج به الإمام مسلم رحمه الله وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

هذا الحديث من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيع الدين بثمان بخس، وذلك لتمكن الجهل وضعف الإيمان وشدة الفتن والمغريات وما جمعه أخونا الشيخ **عمار الحبوباني** حفظه الله في بيان ما تضمنه هذا الحديث وما يرافقه موضوعه أوسع ولكنه احتوى عديدا من الأدلة مفيدا لقارئه إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق.

كتبه

يحيى بن علي الحجوري

٢٤/ صفر ١٤٤٧ هـ جريدة

مقدمته الخطية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله واشهد ان لا اله الا الله وان محمد امينه ورسوله اما بعد
 بيان ما اقره الامام مسلم رحمه الله وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اعدائنا قطع الدليل المظلم
 يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا او يسبي مؤمنا ويصبح كافرا
 يبيع دينه بعرض من الدنيا هذه الحديث من اعلام النبوة
 فقد وقع ما اضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيع الدين بشئ اخس
 وذلك ان يكون الجاهل وضعف الايمان وشدة الفتن والمغريات
 وما جعله اخوان الشيخ عمار الحوياني حفظه الله في بيان ما تضمنه هذا الحديث
 وما راى ذلك موضوعا واسع ولكم احسن من عمدة من الأدلة
 والمثالات لمن هلك بسبب ذلك فصار البعث
 صفة القارئ ان كان له وبال التوفيق ختمه ايمن بن علي بن محمد

مقدمة المؤلف حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي عظم شأن الدين، وحقر من باعه بثمان مهين، وجعل رضاه أغلى ما يطلبه الصادقون، وصراطه أوضح ما يسلكه المفلحون.
نحمده سبحانه على ما هدانا من الإيمان، ونستعيذه من فتنة الأموال والأوطان، ونستهديه لما فيه صلاح القلوب والأبدان.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجي قائلها يوم الدين، وتثبت صاحبها عند السؤال واليقين.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حذر من الدنيا وزخرفها، وأنذر من بيع الدين بثمان قليل يُردي صاحبه ويهلكه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فالدنيا دار غرور، متاعها قليل، وزينتها إلى زوال، لا يبقى منها إلا ما تُرَنِّبُ بعمل صالح يُرفع في ميزانٍ عدل لا يظلم فيه أحد.
ومن أعظم الخسارة أن يبيع العبد دينه لأجلها، فيخسر رأس ماله، ويهدم حصنه، ويشترى الذل والهوان.
فالمال يفنى، والجاه يزول، والمنصب يذهب، ولا يبقى للعبد إلا ما قدّم لدينه، وما صدق فيه مع رب العالمين.

إن أخطر ما يتلى به الإنسان في حياته أن يبيع دينه بعرض يسير من الدنيا، أو أن يقدم شهوة عاجلة على طاعة ربه، أو أن يختار متاعاً فانياً على حساب نعيم باقٍ لا يزول. وما ذلك إلا دليل على ضعف البصيرة، وفساد الميزان، وغلبة الهوى على القلب، فإن من عرف حقيقة الدنيا علم أنها متاع الغرور، وأنها سريعة الزوال، وأن من باع دينه لأجلها فقد خسر خسراناً ميبئاً.

وقد تكرر التحذير من ذلك في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لأن النفوس ضعيفة، والفتن مزينة، والشيطان عدو مبين، لا يزال يزين للناس أن الدنيا هي رأس المال، فيغريهم بالتفريط في العهد والميثاق، ويهون عليهم أمر الدين، حتى يروا أن ما يكسبونه من المال أو الجاه أو المنصب يساوي ما أضاعوه من رضا الله، وما ذلك إلا خداع وغرور.

لقد وصف الله -جل وعلا- من يبيع دينه بالدنيا بأنهم **﴿يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾**، وأن هذا الثمن في حقيقته لا يساوي شيئاً بجانب ما ضيعوه من طاعة الله وطلب مرضاته.

بل سماه الله ثمنًا قليلاً مهيناً، ليعلم عباده أن ما ضيّع من الدين لا يعوضه مال ولا جاه ولا سلطان، وأن أعظم صفقة خاسرة أن يبيع العبد ما يبقى بما يفنى، وما هو نفيس بما هو حقير.

وإن من أعظم صور الغبن أن يتخلى المرء عن عقيدته وشرع ربه، أو يكتم الحق خوفاً على منصب أو حرصاً على مال، أو يلين في دينه طمعاً في رضا المخلوقين، فيخسر نفسه في الدنيا والآخرة، قال سبحانه في شأن هؤلاء: **﴿فَمَا بَیَحْتَ بِخَبْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** (١٦)،

فشبه سبحانه اختيارهم الباطل على الحق بتجارة فاسدة لم تحقق لهم ربحاً، بل أوردتهم موارد الهلاك والخسران.

ومن تأمل قصص القرآن وجد أن أكثر من ضلّ عن سواء السبيل إنما حمله على ذلك حب الدنيا، أو طلب سلطان، أو خوف على منصب، أو شهوة عابرة، فكان عاقبة أمره خسراناً مبيئاً.

وتأمل إلى ذلك الذي شبهه الله بالكلب، أوتي علماً من آيات الله، فانسلك منها وأخلد إلى الأرض واتبع هواه، فصار مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. وهذا قارون الذي بطر بماله وأعرض عن شريعة ربه، فخسف الله به وبداره الأرض، وهذا فرعون طغى وتجبر وأراد الملك على حساب الحق، فجعله الله آية لمن يعتبر.

ولم تكن الأمم الماضية وحدها التي وقعت في هذا الباب، بل حذر الله المؤمنين من أن يسلكوا مسلكهم، فقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥).

أيها القارئ المبارك: إن بيع الدين بثمان بنخس لا يقتصر على من مضى من الأمم، بل هو داء يتكرر في كل عصر، ويتلون بصور شتى؛ فمرة في هيئة حاكم جائر يبيع دينه لإرضاء أهوائه، ومرة في صورة عالم سوء يكتم الحق خوفاً أو طمعاً، ومرة في صورة داعية أو خطيب يطلب الشهرة والمكانة، فيتزين للناس بكلام الحق ويخالفه في الباطن، ومرة في صورة موظف أو تاجر يستهين بالمحرمات لأجل زيادة في ربح أو مال.

ومن فضل الله تعالى أن فكرة هذا البحث لم تكن من بنات فكري وحدي، بل هي ثمرة توجيه مبارك من شيخنا العلامة الناصح الأمين يحيى بن علي الحجوري حفظه الله، وذلك

في درس من دروسه العامّة الماتعة بين المغرب والعشاء في دار الحديث بالعمود - مأرب -
مراد، رَدَّها الله علينا.

فقد كان الدرس في باب ذمّ الدنيا وحقارتها، وذكر بعض أحوال من باعوا دينهم بعرض
يسير من الدنيا، وضرب الشيخ في ذلك أمثلة مؤلمة من الواقع، ثم قال: «هذه المسألة مهمّة،
وتحتاج إلى من يجمع مادتها في كتاب، فيُذكر فيه أحوال من باعوا الدين بثمن مهين،
والقرآن مليء بهذا الباب، فليكن بعنوان: بيع الدين بثمن مهين». فأخذتُ الفكرة على
محمل الجدِّ، وأخبرتُ شيخنا أني سأقوم بهذا العمل، فدعاني بالتوفيق.

وكان ذلك زمن إقامتنا في دار الحديث بالعمود، ثم إنَّ الاشتغال ببعض ما بيدي من
بحوث وأيضاً تقلُّب الأحوال وخروجنا من العمود حال دون إتمامه في حينه، غير أنَّ الله
تعالى يسّر لي في هذه الأيام أن أعود إلى ما جمعتُ من مادته، فأضفتُ إليها ورتبْتُها، حتى
خرجت بحمد الله في هذه الحُلَّة التي بين يدي القارئ الكريم.

وما هذا الجهد إلا مشاركة متواضعة في هذا الميدان، أرجو بها نفع نفسي وإخواني،
وتذكير طلاب العلم والدعاة بخطورة بيع الدين بعرض الدنيا، والانشغال بالسياسات
والمناصب والجاه، والانصراف عن طلب العلم والدعوة.

فكم رأينا - ويا للأسف - من كان يُشار إليه بالبنان، ثم انحرف وانتكس، وباع دينه
وعلمه بزخرف زائل، فخسر لذة العلم ومجالس الذكر.

وإنَّ هذا الكتاب - على صغره - لهو أولى ما يحتاج إليه طالب العلم، إذ هو أحوج
الناس إلى الخوف على نفسه من الانتكاس، والركون إلى الدنيا، ونسيان الآخرة.

ومما يزيد الأمر خوفاً ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (١)

وهذا الزمان قد حلت بوادره، ورأينا من باع دينه لأجل منصب أو جاه أو دراهم معدودة.

فجاء هذا الكتاب تذكيرًا بخطورة هذا الداء، وبيانًا لمصائده ومخارجه، وجمعًا للنصوص القرآنية التي تحدثت عنه، مع شروحها ووجوه العبرة فيها، ثم إلحاقها بالأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد المعنى وتزيده وضوحًا.

وليس الغرض من هذا الكتاب مجرد السرد والقص، بل الغرض الأسمى أن يخرج القارئ بعبرة حية، وأن يعلم أن دينه هو رأس ماله، فمن ضيّع رأس ماله لم يجد بعده عوضًا، ومن باع دينه فقد باع نفسه، ومن باع نفسه خسرها أبدًا.

فالله الله يا عبد الله، لا تفرط في دينك لأجل دنيا زائلة، ولا تضحّ برضا ربك من أجل متاع فانٍ، ولا تنس أن ما عند الله خير وأبقى، وتذكر دائمًا دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا».

فبهذا نبدأ رحلتنا في هذا الكتاب، نستعرض الآيات القرآنية، ثم الأحاديث النبوية، ثم نلحقها الأبواب التي تتناسب مع خطة البحث، علّها تكون تذكرة للقلوب، وعظة للغافلين، وحجة على المفرطين. والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباب الأول:

تعظيم الدين وتقديمه على النفس والمال والولد والدنيا كلها

تمهيد:

الحمد لله الذي جعل الدين أعظم نعمة على العبد، وشرف أهله بالاستقامة عليه، وأكرمهم بالثبات على الصراط المستقيم، وجعل لهم به العزة والكرامة في الدنيا، والنجاة والفوز بالجنة في الآخرة.

إن الدين ليس شيئاً زائداً في حياة الإنسان، ولا أمراً فرعياً يُقدّم أو يؤخّر، بل هو الحياة كلّها، فمن فقدّه فقد روحه، ومن باعه فقد هويته وكرامته.

لأجل الدين قامت السماوات والأرض، وبه بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وأقيمت الجنة والنار، وهو الغاية التي من أجلها يُضحّي المؤمن بنفسه وماله وولده، ويقدمه على الدنيا وما فيها.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة: ٢٤]، فجعل سبحانه الدين ميزاناً يفرّق به بين أهل الإيمان وأهل الهوى.

ومن نظر في سير الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين علم أنهم ما باعوا دينهم بعرض من الدنيا، بل بذلوا أرواحهم في سبيله، ورأوا أن خسارة الدنيا أهون من خسارة

الدين.

فالدين هو رأس المال، ومن فقدته فلا ربح له ولا تجارة، بل خسر نفسه وأهله يوم القيامة.

ولهذا كان لزاماً أن يُفتح هذا الكتاب ببابٍ عظيم يذكّر القلوب بمكانة الدين وفضله، ويغرس في النفوس أن الدين أغلى ما يملكه العبد، وأن التضحية دونه واجبة، والثبات عليه فرض، وأن التفريط فيه خسران مبین.

الفصل الأول: الآيات من القرآن التي تدل على أهمية تعظيم الدين وتقديمه على كل شيء

إن حياة المؤمن ليست ملكاً له، بل هي وقف لله تعالى، كل عمله وسعيه ونفسه ينبغي أن يكون خالصاً لله، لا يعيش لنفسه، ولا لمطامع دنياه، وإنما يعيش لربه الذي خلقه، فيفديه بنفسه وماله وولده، ولا يساوم على دينه أبداً، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فهذه الآية العظيمة تبين أن الصلاة والنسك والحياة والموت جميعها لله وحده. ومن كانت غايته الله، فلن ترعزعه الدنيا ولا مغرياتها، بل يثبت على دينه حتى يلتقى ربه وهو على الجادة، فذلك هو الفوز العظيم.

الدنيا بزيتها تغرّ الغافلين، فيحسبون أن الوجود لأجل المال أو اللهو، لكن المؤمن يوقن أن الغاية العليا هي عبادة الله وحده.

ولهذا لا يبيع دينه بعرض زائل، لأنه يعلم أن وظيفته في الحياة أعظم من كل زخرف الدنيا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

فهذه الآية تقطع الشك باليقين، أن الغاية الوحيدة للخلق هي عبادة الله. فمن ضيّع الدين خسر الحكمة من وجوده كله، ومن جعل العبادة شغله الشاغل فاز بسعادة الدنيا والآخرة، وخلّد اسمه في سجل المخلصين. قد يفتن الإنسان بحب الأهل والمال، لكن الدين يعلو على كل محبوب، فمن قدّم حب الدنيا على حب الله ورسوله فهو على خطر عظيم، بل الهلاك أقرب إليه من النجاة، لأن الدين لا يقبل الشركة ولا المساومة.

لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

وهذا وعيد شديد لكل من قدّم الدنيا وأهلها على الله ورسوله، فهي رسالة واضحة أن الدين هو الحياة، ومن فرط فيه خسر الدنيا والآخرة جميعاً، فكان من الخاسرين. الحق واحد لا يتعدد، والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، فلا يصح أن يُستبدل بغيره أو أن يُساوَم عليه، إنه الأمان الحقيقي، ومن أعرض عنه ضلّ سواء السبيل، ولو ملك الدنيا بأسرها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. بهذا البيان الجلي يعلم المؤمن أن التمسك بالإسلام ليس خياراً بل فريضة، ومن أراد السلامة فليثبت عليه، ومن باعه بمتاع الدنيا هلك وانطفأ نوره، فلا ينفعه حينها ندم ولا رجوع.

واعلم أن طريق الدين ليس مفروّشاً بالورود، بل هو مليء بالامتحانات والابتلاءات،

لكن هذه سنة الله ليميز الصادق من الكاذب، والمجاهد من المتخاذل، ومن صبر ظفر، ومن باع دينه للدنيا انكشف وخسر، لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

فالابتلاء إذن باب عظيم لرفع الدرجات، وتمحيص الإيمان، لا ينبغي للمؤمن أن يفتر من البلاء بباع دينه، بل عليه أن يصبر ويحتسب، حتى يلقي ربه وهو من الفائزين. العبادة ليست موسمية ولا عابرة، بل هي مستمرة حتى آخر العمر، فالدين لا يترك عند المشقة، بل هو حياة كاملة لا تنقطع إلا بالموت، ومن قصر ضيّع كل شيء، لقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

اليقين هو الموت، فمن ثبت على العبادة حتى الممات كتب عند الله من الناجين. أما من باع دينه في منتصف الطريق فقد خسر رحلته عمره بأسرها، ولن يلقي إلا الحسرة.

الاستسلام الكامل لله هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها. هو طريق الأمان في الدنيا والآخرة، فمن أسلم وجهه لله لم تهزه الفتن، ولم تضعفه المغريات، بل يثبتته الله بالقول الثابت، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

فلا نجاة إلا بالانقياد لله. ومن ربط قلبه به استقامت خطواته، وصار في حفظ الله ورعايته، لا تزلزله الفتن، ولا يبيعه أحد بدنيا زائلة.

الإخلاص سر الثبات، فمن أخلص دينه لله صارت خطواته راسخة، وأعماله مباركة. أما من جعله رياءً أو مصلحة دنيوية فقد أضاع دينه بأرخص ثمن، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

فالإخلاص هو الروح، وبدونه يتحول الدين إلى جسد بلا حياة، لذلك من أراد الثبات فليجعل دينه خالصاً لله، بعيداً عن هوى النفس أو رضا الخلق.

لا يقبل الله من الناس ديناً سوى الإسلام، وكل محاولة للالتفاف أو التنازل هي خسران محقق، فمن طلب بديلاً فقد اشترى النار بالدنيا، ورضي بالهلاك بدل النجاة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذا حكم قاطع، لا طريق للنجاة إلا الإسلام، ومن خالف فقد أضاع آخرته، وما نفعه حينها مال أو جاه أو أهل.

الحياة الحقيقية ليست في المال ولا في الجاه، بل في الدين، فمن استجاب لله ورسوله حيي قلبه، ومن أعرض بقي حياً بجسده لكنه ميت بروحه، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فهذه الآية تذكرنا أن الدين حياة القلب، ومن فقدته فهو كالميت وإن كان يسعى على الأرض، فلا يبيع ولا مساومة على ما يحيي الأرواح.

العزة في الدين، والذل في التنازل عنه، فمن تمسك به علا شأنه، ومن فرط فيه هان على نفسه وعلى الناس، وصار بلا قيمة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فالمؤمن عزيز بدينه، لا يخضع ولا يذل.

أما من باعه فقد أسقط نفسه من عين الله ومن عين الناس، وخسر العزة في الدنيا والآخرة، الموالاة لله ولرسوله وللمؤمنين هي حقيقة الدين.

أما موالاة الدنيا والكافرين فهي خيانة كبرى، ومن اختارها فقد ضيّع ولايته عند الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥].

فمن جعل ولاه الله ولرسوله نال معية الله، وكان من حزبه الغالبين. أما من باع الدين بولاءات الدنيا فقد خسر نصره الله وتأيدته، الفتن قد ترهب النفوس، لكن المؤمن الحق تزداد قوته وثباته كلما اشتد البلاء. فلا يخاف من الناس، بل يزداد إيماناً بالله واعتماداً عليه، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وهذا هو سر قوة المؤمن: أن الفتن تزيده رسوخاً، بينما المنافق يبيع دينه عند أول اختبار، مهما اجتمع أهل الباطل لإطفاء نور الله فلن ينجحوا. فالدين منصور محفوظ، لأنه نور الله الذي لا ينطفئ، والخاسر الوحيد هو من باع نفسه وظن أنه قادر على إطفائه، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ نُّورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة الصف: ٨].

فالآية تبعث الطمأنينة في قلب المؤمن: أن الدين باقٍ إلى يوم القيامة. فلا يضعفه كيد الأعداء، بل يبقى عالياً محفوظاً، ومن انحرف خسر نفسه فقط. أعظم بشارة لأهل الثبات أن الملائكة تنزل عليهم عند الموت، تبشرهم بالجنة والنعيم. تلك ثمرة الاستقامة، أن يثبت المرء على الدين حتى يلقي الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠].

فمن جعل الدين حياته ومماته، نال سعادة الدنيا والآخرة. أما من باعه فليس له إلا الخوف والحسرة، ولا يجد عند موته إلا الندم.

أخيراً:

هذه الآيات المباركات، والأحاديث النبويات، إنما هي غيْضٌ من فيض، وإشارات يسيرة من بحرٍ عظيم، كلها تنادي بصوت واحد: أن الدين هو رأس المال، وأعظم ما يملكه العبد في دنياه وآخرته.

فمهما عظم المال أو اتسع الجاه فلن يغنيا عن صاحبه شيئاً إذا ضاع منه الدين، إذ هو الحصن الحصين والزاد المتين، ولا بقاء لكرامة ولا حياة لروح بدونه.

وقد أحسن القائل إذ لخص هذه الحقيقة فقال: إذا ذهب المال لم يذهب شيء، وإذا ذهب الجسد ذهب بعض الشيء، وإذا ذهب الدين ذهب كل شيء، فهو لباس المرء وزينته، وبدونه يكون عارياً وإن اكتسى، وقد قالوا:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلبَ عرياناً ولو كان كاسياً

وخيرُ لباسِ المرء طاعةُ ربِّه ولا خيرَ فيمن باتَ لله عاصياً

ولله درُّ القائل إذ صاغها مثلاً سائراً:

نُرقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نُرقِّعُ

وهي كلمة باقية على الألسنة، يضربون بها المثل لكل من باع دينه بعرض الدنيا الفاني، فما إن يحاول ترميم دنياه حتى يمزق ثوب دينه، فلا دنياه اكتملت ولا دينه سَلِمَ.

فالدين عزٌّ لا يُذل من تمسك به، وحياةٌ لا يحيي القلب بدونها. وقد صدق أبو العتاهية

إذ قال:

ألا إنما التقوى هي العزُّ والكرمُ وحبُّك للدنيا هو الذلُّ والسقمُ

وليس على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ إذا صَحَّ التقوى وإن حاك أو حجم

فأَيُّ عيش يصفو لمن ضيَّع دينه؟ وأيُّ قلب يطمئن إذا فرط في أعظم أمانة بين جنبيه؟.

فليدع العاقل الدنيا لأهلها، وليعضَّ على دينه بالنواجذ، فإنها الباقية التي لا تبلى،

والذخر الذي لا ينفد، والوصية التي تواترت بها النبوات.

يا عبد الله، اعلم أن الدين هو العز في الدنيا والنجاة في الآخرة، وهو الحياة التي لا حياة

بدونها، من قدَّمه على هواه فاز الفوز العظيم، ومن باعه بدنياه أو بدنياه غيره فقد خسر الدنيا

والآخرة.

وما زال الصالحون يلهجون بالدعاء: اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، ومن

استمسك بالدين فقد أخذ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ

وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢).

الباب الثاني:

ذم الدنيا في القرآن والتحذير من الاغترار بها

إن الله جل وعلا لما علم ضعف النفوس وشدة تعلقها بالعاجل، أكثر في كتابه من التحذير من الدنيا، وكرّر بيان غرورها وزوالها، وضرب الأمثال على سرعة فنائها وهشاشة زينتها، ليعلم العبد أنه إن باع دينه بعرض منها فقد خسر أعظم الخسران.

فالدنيا مهما طالت قصيرة، ومهما عظمت حقيرة، ومهما جمعت من لذاتها فإن مصيرها إلى الزوال، فلا ينبغي لعاقل أن يجعلها غاية همّه، ولا أن يضحيّ بدينه من أجلها.

ولهذا جاء في القرآن عشرات الآيات التي تهدم بنيان الغرور، وتبيّن أن متاعها قليل، وأن حقيقتها لعب ولهو وزينة زائلة، وأن الآخرة هي دار البقاء والخلود.

وهذه الآيات هي من أعظم الشواهد على أن بيع الدين بالدنيا سفه عظيم وخسران مبین.

وفيما يلي ثلاثون آية كريمة، يسبق كل واحدة منها تعليق يوضح وجه العبرة والمعنى، لتكون سلسلة متكاملة تذكّر القلوب بخطر التعلق بالدنيا والاعترار بزخارفها:

الذم الأول: الدنيا دار غرور

من ركن إليها خُذع، ومن وثق بها خسر، ومن جعلها غاية همّه ضاع دينه، فهي كالسراب يظنّه الظمآن ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئاً.

لا يعرف حقيقتها إلا من نظر بعين البصيرة، أما الغافل فيحسب أنه على شيء، ولذلك

جاء التحذير الرباني الصريح من أن حقيقتها ليست إلا خديعة، ومتاعاً زائلاً، لا يساوي عند الله جناح بعوضة، فليحذر العبد أن يبيع آخرته بعرض منها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥].

الذم الثاني: تقبّل الدنيا على طالبيها

ومن تأمل الدنيا وجدها مراحل متقلبة: صبا فشباب فكهولة فهرم، وما بين ذلك لهو ولعب وزينة وتفاخر، ثم تنتهي إلى حطام لا قيمة له، فهي سريعة الزوال مهما اغترّ بها المغترون، وكل ما فيها إلى الفناء، والآخرة هي الحق الباقي الذي ينبغي أن يتزوّد له العاقل، ولهذا حكى القرآن حقيقتها تصويراً بديعاً يجلّي زيفها، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]

الذم الثالث: إيثار الجاهل العاجل على الآجل

من أعظم البلاء أن يؤثر الإنسان العاجل على الآجل، والفاني على الباقي، فكم من نفس باعت نصيبها من الآخرة في مقابل شهوة ساعة أو درهم زائل، وقد وصف الله حال هؤلاء بأنهم اختاروا الدنيا ورضوا بها، وغفلوا عن أن الآخرة خير لهم وأبقى. فما أعظم خسارتهم حين يزول متاعهم ويبقى وبالهم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ [سورة الأعلى: ١٦-١٧].

الذم الرابع: ظن الجاهل أنه تمكن من الدنيا

كثير من الناس يظن أنه متمكن في الدنيا، فينخدع ببريقها ويغفل عن حقيقتها، فيأتي التحذير الصريح من الله تعالى: لا تدعها تغرّك، فهي لا تستحق أن يُركن إليها أو يُطمأن لها.

فالعاقل لا ينخدع بلمعان الذهب إذا كان غلافًا من تراب، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [سورة لقمان: ٣٣].

الذم الخامس: كل متاع ولذة في الدنيا لهو ولعب

مهما بدا في الدنيا من متاع ولذة، فإنها ليست في حقيقتها إلا لهو ولعب، فلا جدوى في الركون إليها، فهي كالطفل يلهو بلعبته ثم يتركها، فلا تبقى له، فمن جعلها همه الأعظم كان كمن بنى بيته على الماء لا يثبت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

الذم السادس: افتتان قلوب طالبيها عليها

الدنيا بزيئها تفتن القلوب وتغري النفوس، لكنها في حقيقتها لا تستحق أن يُفتن بها مؤمن؛ لأنها متاع قليل زائل، لا يدوم لصاحبه ولا يغني عنه عند الله شيئاً.

الذم السابع: من آثرها على الدين خاب وخسر

فمن آثرها على الدين خسر نفسه ودينه معاً، ومن جعلها غايته لم يجن منها إلا الحسرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧]

الذم الثامن: من المحال بقاء الدنيا على من توصل إلى لذتها

الناس يغترون بما في أيديهم من مال أو متاع، ويظنونهم دائماً لهم، وينسون أن الله يقلب الدنيا كيف يشاء، فيورثها من يشاء من عباده، فليست باقية لأحد، ومن جعلها همه فقد أخطأ الطريق، قال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]

لا يليق بالمؤمن أن يرضى بالدنيا ويطمئن إليها، فإنها دار غرور، ومن اختارها على

الآخرة فقد باء بالخسران.

الذم التاسع: من جعل الدنيا همه شتت الله عليه شمله وذمه

وقد ذم الله أقوامًا جعلوا الدنيا أكبر همهم، فقال: إنهم رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، وما لهم في الآخرة من نصيب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَأَوْهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَفْلُونَ﴾ [يونس: ٧]

الذم العاشر: المغتر بالدنيا ينسى الآخرة ومآلها

من حُرِمَ اليقين بالآخرة عُوقِبَ بأن يلهو بالدنيا وينشغل بزخرفها، فلا ينتفع بعلم ولا بصيرة، حتى يأتيه الموت على غفلة، فالدنيا فتنة تصدّ عن الآخرة، ولا يسلم منها إلا من أبصر بنور الوحي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَأَوْهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَفْلُونَ﴾ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [سورة يونس: ٧-٨].

الذم الحادي عشر: من آثر الدنيا على الدين حرم النظر إلى وجه ربه الكريم

من عاش للدنيا غفل عن الآخرة، ومن شغله زخرفها حُرِمَ لذّة النظر إلى وجه الله الكريم. فالمرء من العاقل لا يلهو بزينة زائلة، بل يجعلها وسيلة لدار البقاء، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [سورة هود: ١٥-١٦].

الذم الثاني عشر: كل متاع الدنيا بهرج للعيون والقلوب ثم مآله إلى الزوال

الدنيا زينة تغرّ العيون وتفتن القلوب، لكنها لا تعدو أن تكون متاعًا زائلًا. ومن غفل عن

ذلك عاش أسيرها حتى فاجأه الموت، فندم حيث لا ينفعه الندم، قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٤].

الذم الثالث عشر: الدنيا كالظل يزول سريعاً

من ركن إلى الدنيا نسي الآخرة، ومن تعلّق بها ضاع دينه، فالدنيا كالظل يزول سريعاً ولا يمسك، ولهذا قال الله عن الكافرين الذين اتخذوها همهم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٣].

الذم الرابع عشر: نجح من جعل الدنيا وسيلة للآخرة

لا خير في متاع الدنيا إلا ما كان وسيلة للآخرة، فهي قصيرة مهما طالت، قليلة مهما كثرت. والآخرة هي دار الخلود، ومن ضيّعها ضاع كل شيء، قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

الذم الخامس عشر: من جعل الدنيا غاية غفل عن مصيره

الذي جعل الدنيا أكبر همه غفل عن مصيره، وانشغل بما لا يدوم، حتى إذا جاءه الموت لم يجد إلا الحسرة. وقد أمر الله نبيه أن يذكر الناس بحقيقتها فقال: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٥].

الذم السادس عشر: من علم الدنيا على حقيقتها لم ينخدع بها

من علم أن الدنيا لهو ولعب، لم ينخدع بزخرفها، بل استعملها للآخرة. فهي دار فناء لا دار بقاء، ولا يغترّ بها إلا غافل عن الله، قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]

الذم السابع عشر: من وصل إلى الدنيا وظن أنه على شيء فهو إلى الهلاك

المغرور بالدنيا يظن أنه على شيء، وهو في الحقيقة ماضٍ إلى هلاك، فهي كظلٍّ آفل لا يثبت على حال، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]

الذم الثامن عشر: الفرق بين المغتر بالدنيا والفار منها

من جعل الدنيا غايته عاش في لهو دائم، ومن جعل الآخرة مقصده فاز بالخلود، فشتان بين من يعمل لما يفنى ومن يعمل لما يبقى، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [سورة الإسراء: ١٨].

الذم التاسع عشر: من انشغل بالدنيا نسي آخرته

من انشغل بالدنيا نسي آخرته، ومن طلب لذتها الفانية ندم عند لقاء ربه، فهي متاع قليل، لا يزن عند الله شيئاً، قال الله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠]

الذم العشرون: الدنيا دار محنة لما بعدها

من اغترّ بزخرف الدنيا فقد خسر نفسه، فالله يختبر عباده بزينه هذه الدار، ليعلم من

يتزود للآخرة ومن يلهو بزخارفها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]

الذم الحادي والعشرون: الدنيا لاحقيقة لها

الدنيا في حقيقتها لا شيء، فهي لعب ولهو وزينة زائلة، ومن تعلق بها ندم، ومن جعلها وسيلة للآخرة فاز، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَرَجَهُ مُمْصَفًّاءُ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

الذم الثاني والعشرون: حال من يبيع دينه بدنيا غيره

من يبيع دينه بدنيا غيره أو دنياه خاسر لا محالة، فالله قد وصف الذين يشترون بعهد الله ثمناً قليلاً بأنهم لا نصيب لهم في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا بأنهم لا نصيب لهم في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]

الذم الثالث والعشرون: التعلق بالدنيا سبب الخسران المبين

التعلق بالدنيا سبب الخسران المبين، فلا يغتر العبد بزخرفها، فإن الله يذكر أن ما عنده خير وأبقى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٩٥]

الذم الرابع والعشرون: الذي يبيع دينه بمتاع الدنيا كالذي يبيع الذهب بالطين الخزف

الذي يبيع دينه بمتاع الدنيا إنما يشتري الوهم ويترك الحق، فلا ربح له ولا هداية، قال

الله تعالى: ﴿فَمَا رَیَحَتْ یَحْدَرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِیْنَ﴾ [البقرة: ١٦]

الذم الخامس والعشرون: الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر

الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، فمن جعلها غايته ندم، ومن استعملها للآخرة فاز، قال الله تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤]

الذم السادس والعشرون: من استحب الدنيا على الآخرة خسر الدنيا والآخرة

من استحب الدنيا على الآخرة أضاع نفسه، فلا خير في مال ولا جاه يُفقد العبد رضوان ربه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه: ١٢٤]

الذم السابع والعشرون: التعلق بالدنيا يفسد القلب ويورث الغفلة

التعلق بالدنيا يفسد القلب ويورث الغفلة، ومن غفل عن الآخرة خسر كل شيء، قال الله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾ [الحجر: ٣]

الذم الثامن والعشرون: ما عند الله خير وأبقى لمن عقل الأمر وتفهم

الدنيا متاعها قليل وزائل، أما الآخرة فهي الخير كله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠]

الذم التاسع والعشرون: أبين وأوضح خسارة من باع الدين بالدنيا

من باع دينه بدنياه فقد خسر خسراناً مبيناً، ولا يجد يوم القيامة إلا الحسرة والندامة، قال الله تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]

الذم الثلاثون: الدنيا عرض والآخرة غرض

من اختار الدنيا على الآخرة فقد ظلم نفسه، فهي متاع قليل، والآخرة خير وأبقى، قال الله تعالى: [الأنفال: ٦٧] ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾

الذم الحادي والثلاثون: من جعل الدنيا دار خلود يأتيه الموت ولم ينل منها إلا الموعود

الذي يظن أن الدنيا دار خلود مخدوع، فهي فانية مهما طال العمر. أما الآخرة فهي دار البقاء، قال الله تعالى: ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]

الذم الثاني والثلاثون: المؤمن يؤثر الباقي على الفاني

المؤمن الحق لا يغتر بزينة الدنيا ولا يُؤثرها على ما عند الله، فهو يعلم أنها متاع قليل وزائل، وأن من جعلها غايته ضل وخسر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]

الذم الثالث والثلاثون: المشغل بالدنيا لا ينتفع بعلم ولا ذكر

الانشغال بالدنيا وحب متاعها يورث الغفلة، والغافل عن الآخرة لا ينتفع بعلم ولا ذكر، بل يكون كمن له قلب لا يفقه أو أذن لا تسمع، قال الله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَٰكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾ [الحجر: ٣]

الذم الرابع والثلاثون: الآخرة هي دار القرار، والدنيا دار مرار

الآخرة هي دار القرار، وأما الدنيا فهي محطة عابرة، لا قرار فيها ولا استقرار. فالعاقل من جعلها مطية للقاء الله، ولم يجعلها غايته، قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [١٦]

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ [سورة الأعلى: ١٦-١٧].

الذم الخامس والثلاثون: الدنيا جليس سوء تبعذك عن ربك

من اشتغل بزيتها ولهوها كان حاله كحال من يلهو ويلعب، فإذا جاء الأجل لم يجد إلا الحسرة، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]

الذم السادس والثلاثون: لا دوام للدنيا وإن زينت أوزخرفت

الدنيا مهما زُخرفت وزُينت فإنها لا تدوم، ولا خير فيها إلا ما كان وسيلة إلى دار البقاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]

الذم السابع والثلاثون: لا يجتمع ذكر الدنيا وذكر الله في قلب رجل إلا من رحم الله

من ركن إلى الدنيا أعرض عن ذكر الله، ومن أعرض عن ذكره فقد خسر نفسه، وكان مصيره الضنك في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه: ١٢٤].

الذم الثامن والثلاثون: الدنيا محطة اختبار الناس وابتلاؤهم

المؤمن يعلم أن الله يتلي عباده بزينة الدنيا، فمنهم من يلهو بها وينسى آخرته، ومنهم من يتزود منها إلى دار البقاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]

الذم التاسع والثلاثون: من شغله جمع الدنيا نسي جمع الآخرة

من شغل بجمع الدنيا نسي الآخرة، ومن سعى في طلبها نسي نصيبه عند الله، فكانت وبالأعلى عليه، قال الله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يَلْقَا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [سورة المعارج: ٤٢].

الذم الأربعون: من جعل الوصول إلى الدنيا كرامة فهو في استدراج ومهانة

المغرور بالدنيا كمن يفرح بما أوتي ويظنه دليل كرامة، وهو في الحقيقة استدراج وفتنة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]

الذم الحادي والأربعون: الدنيا لا تغني عن الآخرة شيئاً

الدنيا لا تغني عن الآخرة شيئاً، ومن ظنها نهاية المطاف فهو مخدوع، فهي دار الغرور، وأما دار البقاء فهي عند الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥]

الذم الثاني والأربعون: من طال عمره وغره أمله فقد خسر

الذي يلهيه الأمل ويغره طول العمر يعيش في لعب وغفلة، حتى إذا جاء الموت لم يجد إلا الحسرة والندامة، قال الله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٣]

الذم الثالث والأربعون: من علم أن الدنيا وإن عظمت حقيرة وإن طالقت قصيرة فهو مؤمن

المؤمن الحق يعلم أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة، وأن

دار القرار عند الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥].

الباب الثالث:

ذم الدنيا في السنة والتحذير من الاغترار بها

إنّ الدنيا دار ممرّ لا دار مقرّ، ومزرعة للآخرة لا غاية للمؤمن، فكم من عبدٍ فُتن بزخرفها فهلك، وكم من قلب ركن إليها فانشغل عن ذكر الله حتى خسر آخرته.

وقد تواترت نصوص السنة الصحيحة في التحذير من الاغترار بزينة الدنيا وبيان حقارتها، فكان رسول الله ﷺ يزهد أصحابه فيها ويحضّهم على طلب ما عند الله، ولأجل ذلك كان السلف الصالح يعدّون التعلّق بالدنيا من أعظم أسباب الانتكاس والخذلان، ويستشهدون بكلام النبي ﷺ في خطبهم ومواعظهم وقد جاءت أدلة كثيرة في السنة تبين حقارة الدنيا وأنه لا يغتر بها إلا جاهل قد مكرت به فمما بينه النبي ﷺ ما يلي:

الذم الأول: الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ليست موضع نعيم مقيم، وإنما دار عمل وزرع للحصاد في الآخرة.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (١).

(١) رواه البخاري في «كتاب الرقاق»، رقم (٦٤١٦).

الذم الثاني: الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما حسنت فهي حقيرة، لا تساوي عند الله شيئاً.

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» (١).

الذم الثالث: الدنيا فتنة، وزينتها خداعة، يظنها المرء بقاءً فإذا هي فناء وزوال.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ» (٢).

الذم الرابع: الدنيا لا تساوي شيئاً أمام الآخرة، فلا ينبغي للعاقل أن يبيع الباقي بالفاني.

فعن المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ» (٣).

الذم الخامس: الدنيا متاع قليل، والعبد لا يأخذ منها إلا ما قسم الله له، فلا يغتر بكثرتها.

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بالسوق فرأى جدياً

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) رواه مسلم (٢٨٥٨).

أسك ميتاً... فقال: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» (١).

الذم السادس: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» (٢).

الذم السابع: الدنيا ظل زائل، لا يركن إليها إلا مغرور.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (٣).

الذم الثامن: الدنيا ملعونة بزخارفها، إلا ما كان لله فيها.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا» (٤).

الذم التاسع: الدنيا دار عمل لا حساب، والآخرة دار حساب لا عمل.

فعن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ

(١) رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٧) وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذي (٢٣٢٢) وصححه الألباني (٣٤١٤).

فَأَمْضَيْتَ؟» (١).

الذم العاشر: الدنيا ممر لا مقر، والعمل فيها هو الزاد الباقي.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: عَمَلُهُ» (٢).

الذم الحادي عشر: الدنيا لا خير فيها إلا ذكر الله.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (٣).

الذم الثاني عشر: الدنيا لا تدوم لأحد، ومن اطمأن إليها فقد غرّ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا» (٤).

الذم الثالث عشر: الدنيا دار الغافلين، والآخرة دار الموقنين.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ» (٥).

(١) رواه مسلم (٢٩٥٨).

(٢) رواه البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠).

(٣) رواه مسلم (١٤٦٧).

(٤) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٥) رواه البخاري (٦٤١٧) ومسلم (١٠٦٠).

الذم الرابع عشر: الدنيا وزينتها لا تعادل ركعتين في سبيل الله.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ^(١).

الذم الخامس عشر: الدنيا كلها متاع، وأفضل ما فيها ما يعين على الدين.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتُهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ» ^(٢).

الذم السادس عشر: الدنيا دار الفتنة، فلا ينبغي للمؤمن أن يطمئن إليها.

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسُ عَنِ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي» ^(٣).

الذم السابع عشر: الدنيا مهما كثرت أموالها فهي ترك للوارث.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى» ^(٤).

(١) رواه مسلم (٧٢٥).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٥٧) وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي (٢٤١١) وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٩).

الذم الثامن عشر: الدنيا تلهي عن الآخرة إلا من وفقه الله.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (١).

الذم التاسع عشر: الدنيا جيفة وطلابها كلاب، كما قال بعض السلف.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تُأْمِرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تُؤْلِنَنَّ مَالَ يَتِيمٍ» (٢).

الذم العشرون: الدنيا غرور وغلظة.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ» (٣).

الذم الحادي والعشرون: الدنيا ليست بدار راحة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» (٤).

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٦) وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم (٢٩٦٣).

الذم الثاني والعشرون: الدنيا تلهي وتُنسي، إلا من اتخذها وسيلة للآخرة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سَرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» (١).

الذم الثالث والعشرون: الدنيا لا تغني عند الله شيئاً.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ» (٢).

الذم الرابع والعشرون: الدنيا ظل زائل.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ» (٣).

الذم الخامس والعشرون: الدنيا خدعة مأكرة.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ» (٤).

الذم السادس والعشرون: الدنيا وإن أعجبت فهي غرور.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٧) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

أَسْفَلَ مِنْكُمْ» (١).

الذم السابع والعشرون: الدنيا دار الغفلة، من ركن إليها ضاع عمره سدى.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَبْقَى الرَّجُلُ حَتَّى يَشِيبَ فِيهِمْ، وَيَشِيبُ مَعَهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمْرِ» (٢).

الذم الثامن والعشرون: الدنيا دار فناء لا بقاء، لا يُغني فيها مال ولا جاد.

فعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» (٣).

الذم التاسع والعشرون: الدنيا مهما أعطت فهي ناقصة، ولا يشبع ابن آدم منها.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»
الذم الثلاثون: الدنيا إن زخرفت ألهمت وأفسدت القلوب.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الْخُمَيْسَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ» (٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري (٦٤٢٠) ومسلم (١٠٤٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٦) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٢٨٨٧).

الذم الحادي والثلاثون: الدنيا متاع قليل، والزهد فيها رفعة.

فعن أبي العباس سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» (١).

الذم الثاني والثلاثون: الدنيا دار ممر لا مقر، فخير الزاد فيها التقوى.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ» (٢).

الذم الثالث والثلاثون: الدنيا تلهي بزخرفها، والآخرة خير وأبقى.

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشَّحَّ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (٣).

الذم الرابع والثلاثون: الدنيا سريعة الزوال، والنعيم فيها غير مأمون.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمنكبيه فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (٤).

الذم الخامس والثلاثون: الدنيا غرور وزينة، ومن قارنها بالآخرة عرف حقيقتها.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٣).

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٤) رواه البخاري (٦٤١٦).

الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (١).

الذم السادس والثلاثون: الدنيا مهما زخرت فهي هينة عند الله.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَوْضِعُ قَدَمٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

الذم السابع والثلاثون: الدنيا كظل يزول سريعاً.

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٣).

الذم الثامن والثلاثون: الدنيا دار الهموم والأحزان.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» (٤).

الذم التاسع والثلاثون: الدنيا دار الغفلة والابتلاء، واليقظة في الآخرة.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (٥).

(١) رواه البخاري (٢٧٩٦) ومسلم (١٨٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٨).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٦) ومسلم (١٨٨٠).

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٥) رواه البخاري (٦٤١٢).

الذم الأربعون: الدنيا حلوة لكنها مهاكة إذا لم تضبط.

فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوَّةٌ خَضِرَةٌ» ^(١).

الذم الحادي والأربعون: الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ هَادِمُ اللَّذَاتِ» ^(٢).

الذم الثاني والأربعون: الدنيا غرور، لا يبقى معها شيء إلا العمل الصالح.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: عَمَلُهُ» ^(٣).

الذم الثالث والأربعون: الدنيا غدارة، لا تعطي إلا تسلب.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ» ^(٤).

الذم الرابع والأربعون: الدنيا غفلة لمن لم يتزود.

فعن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِعْمَلُوا فَكُلُّ

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٧) وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠).

(٤) رواه مسلم (١١٨).

مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» (١).

الذم الخامس والأربعون: الدنيا لعب ولهو.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ» (٢).

الذم السادس والأربعون: الدنيا دار غرور، من ركن إليها ضاع.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَعَسَ عَبْدٌ الدِّينَارِ» (٣).

الذم السابع والأربعون: الدنيا قصيرة الأمل، والموت يقطع على أهلها أمانهم.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاجٍ اسْتَظَلَ نَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (٤).

الذم الثامن والأربعون: الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً لو كانت تزن مثقالاً.

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا

(١) رواه مسلم (٢٦٤٧).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الترمذي (٢٣٧٧) وصححه الألباني.

تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ» (١).

الذم التاسع والأربعون: الدنيا دار غرور، تزين للغافلين وتلهيهم.

فعن عبد الله بن الشيخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١) قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟» (٢).

الذم الخمسون: الدنيا مهما كثرت لا تنفع إلا بما أقدم للأخرة.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّوقِ وَالنَّاسِ كَنَفْتِيهِ، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْكَ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَدْرُهُمْ؟» قَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَنَا بَشْيٌ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ عَيْنًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسْكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» (٣).

الذم الحادي والخمسون: الدنيا تلهي بشهواتها ثم تنقلب حسرة.

فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (٤).

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٠) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨).

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٤) رواه مسلم (٢٧٤٢).

الذم الثاني والخمسون: الدنيا يركض وراءها الناس ولا يحصلون منها إلا ما كتب لهم.

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**» (١).

الذم الثالث والخمسون: الدنيا فانية، وما عند الله هو الباقي.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا**» (٢).

الذم الرابع والخمسون: الدنيا إذا فُتحت على الناس أفسدت قلوبهم.

فعن عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافُسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوا، فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ**» (٣).

الذم الخامس والخمسون: الدنيا لا تغني شيئاً يوم القيامة.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي النَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ**

(١) رواه ابن ماجه (٢١٤٤) وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢) وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٣١٥٨) ومسلم (٢٩٦١).

مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟» فَيَقُولُ: «لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ» (١).

الذم السادس والخمسون: الدنيا مهما جمعتها فلن ترافقك إلا إلى القبر.

فعن المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إَصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ» (٢).

الذم السابع والخمسون: الدنيا دار عمل، فمن شغلته عنها الآخرة خسر.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مَنَسِيًّا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهَزًا، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرًّا غَائِبًا يَنْتَظِرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ» (٣).

الذم الثامن والخمسون: الدنيا دار امتحان، والآخرة دار جزاء.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إَصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ» (٤).

الذم التاسع والخمسون: الدنيا تخدع المغترين.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ،

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٦) وحسنه الألباني.

(٤) رواه مسلم (٢٨٥٨).

فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ سَوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» (١).
الذم الستون: الدنيا لاقيمة لها عند الله.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» (٢).

الذم الحادي والستون: الدنيا زائلة، والآخره باقية.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ وَيُلْقَى الشَّحُّ وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ». قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ» (٣).
الذم الثاني والستون: الدنيا شهوة عابرة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» (٤).
الذم الثالث والستون: الدنيا دار فتنة.

فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». قِيلَ: أَمِنْ قَلِيلٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ كُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي

(١) رواه البخاري (١٣١٥) ومسلم (٩٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٣) رواه البخاري (٧٠٦١) ومسلم (١٥٧).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٦٥١٩) وصححه الألباني.

قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». قِيلَ: وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (١).

الذم الرابع والستون: الدنيا مهما أخذت منها لا تدوم.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٢).

الذم الخامس والستون: الدنيا لا تغني عند الله شيئاً إلا العمل الصالح.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَابِقُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا». وَذَكَرَ مِنْهَا: «مَوْتًا مُجَهَّزًا، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ» (٣).

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٦) وحسنه الألباني.

الباب الثالث:

الآيات العامة في القرآن التي تتحدث عن بيع الدين بالدين

لقد ساق الله - جلّ في علاه - في كتابه العزيز قصصاً شتى لأمم وأقوام وأفراد باعوا دينهم بعرضٍ من الدنيا قليل، فقَصَّ علينا أخبار فرعون، وقارون، وأصحاب الفيل، وأصحاب السبت، وأهل الأخدود، والمنافقين، وأصحاب القرية، وغيرهم كثير.

ثم لم يكتفِ - سبحانه - بتلك النماذج العملية، بل أرسى قواعد كلية عامة تشمل كل من تلبس بهذه الجريمة في كل زمان ومكان، فجعل آيات جامعة تصف مآل من آثر العاجلة على الآخرة، وفضّل الهوى على الهدى، فاستحسن الدنيا وزينتها وترك الإيمان والحق.

وهذه القواعد القرآنية تُبين أن سنة الله ماضية لا تتخلف، وأن الميزان واحد لا يحابي أحداً: من اشترى الدنيا بالآخرة خسرهما معاً.

ومن تلك الآيات الجامعة:

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٦].

هذه الآية جاءت بعد ذكر أحوال بني إسرائيل، الذين باعوا عهود الله ورسالته، وأخذوا عرض الدنيا من رئاسة وجاه وأموال، فكان جزاؤهم أن العذاب لا يخفّ عنهم ساعة، ولا يجدون ناصرًا ينصرهم. وهذا وعيد عام لكل من قدّم لذة عاجلة على حق أبدي.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٥].

كرّر الله نفس الوعيد تأكيداً، فدلّ على أن القضية ليست خاصة ببني إسرائيل، بل قاعدة مطّردة، فكل من سوّل له هواه أن يبيع الآخرة بالدنيا، فهو داخل في هذا الحكم الإلهي، لا محالة ولا استثناء.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [سورة يونس: ٧-٨].

هنا يربط القرآن بين نسيان الآخرة والغفلة عن الآيات وبين الاستغراق في الدنيا، فيصير القلب راضياً مطمئناً لها، فيفقد صاحبه الهمّ الأخروي. والعاقبة: نار جهنم، جزاء ما كسبوا من الغفلة والرضا بالدنيا.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [سورة هود: ١٥-١٦].

بيان عجيب: من قصد بعمله الدنيا فقط أعطاه الله نصيبه كاملاً في الدنيا، لكنه يحبط

عمله في الآخرة، فيبقى بلا رصيد ينجيه. وهكذا يتبين أن الإخلاص هو الفارق بين عمل مقبول وعمل باطل.

الآية الخامسة

قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة الأعلى: ١٦-١٧].

هذه قاعدة موجزة، تختصر كل ما سبق: الإيثار الخطأ هو سرّ الهلاك. الدنيا مهما عظمت فهي فانية، والآخرة مهما بعُدت فهي الباقية. فمن قدّم الفاني على الباقي فقد خسر الخسران المبين.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾ [سورة الحجر: ٣].

تصوير بديع لحال الغافلين: أكل، متعة، وأماني كاذبة تطيل الأمل حتى يفاجئهم الموت، فينقطع الأمل وتبقى الحسرة.

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٣].

وهي لبّ القضية: محبة الدنيا وتفضيلها، لا تقف عند حدّ النفس، بل تتحوّل إلى صدّ للآخرين عن سبيل الله، فيجتمع فيها الضلال والإضلال.

الخلاصة

هذه الآيات الكلية مع ما سبق من الآيات والأحاديث والأمثلة، ترسم ملامح الميزان القرآني في هذه القضية:

- ١- الدنيا دار ابتلاء لا قرار.
 - ٢- من جعلها غايته خسر الآخرة.
 - ٣- ومن اتخذها وسيلة للآخرة نجا وفاز.
- وهكذا يثبت أن القرآن لا يذكر القصة للعة فحسب، بل يقرر قاعدة عامة تبقى صالحة لكل الأزمنة، لتكون حجة على من آثروا العاجلة على الآجلة.

الباب الرابع:

نماذج من القرآن ممن باع الدين بثمن مهين

إن التأمل في نصوص الكتاب والسنة يوقف العاقل على حقيقة جليلة، وهي أن أعظم الخسارة أن يبيع المرء دينه بعرض يسير من الدنيا الفانية، أو يشري هدى الله بمتاع قليل، فما أشد حسرتهم يوم يُعرضون على ربهم حفاةً عراةً غرلاً، وقد ضيعوا أعظم أمانة وأخسروا أنفسهم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا.

وقد قص الله علينا في كتابه أخباراً عن الذين خانوا العهد ونقضوا الميثاق، فكانوا عبرة لمن بعدهم، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ نَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

وإذا كان القرآن قد ذكر لنا طوائف من أهل الغواية الذين استبدلوا الضلالة بالهدى، فإن السنة النبوية المباركة جاءت لتكشف الستر عن وجوه آخرين من أهل الخيانة والنفاق والغش واتباع الهوى، ممن كانوا يعيشون في زمن النبوة المبارك، ومع ذلك لم تجد عليهم الصحبة ولا رؤيتهم للنبي ﷺ شيئاً؛ إذ باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل (١).

(١) ولما كانت هذه الرسالة المباركة وجيزة المبنى، اقتضى المقام أن أوجز النقل فيها، فأعرضت عن الإطالة، وربما أوردت بعض الأقوال بالمعنى، كما هو الشأن في نقولات المفسرين عند إيراد الآيات، إذ اكتفيت بذكر خلاصة المعنى دون بسط الألفاظ.

فتنوعت صور البيع والخيانة:

فمنهم من نافق نفاقاً أكبر، وأظهر الإسلام وأبطن الكفر، رجاء مال أو خوف سلطان.
ومنهم من غلّ في الغنائم، فباع آخرته بدرهم أو شراك نعل.
ومنهم من خان الله ورسوله بالإشارة أو بالممالة لأعداء الدين، طلباً للجاء عند الكافرين.

ومنهم من غلبت عليه شهوة الملك، فوقف في وجه الدعوة ليُبقي على سلطانه الزائل.
وكل هؤلاء ضرب الله ورسوله بهم الأمثال، وحذر من طريقهم، وجعل أخبارهم شاهداً لا يزول، ليكون العاقل منهم على وجل، فلا يغتر بظاهر الطاعة وهو مفرط في باطنها، ولا يخدع نفسه بمتاع زائل فيخسر الآخرة الباقية.

ومن هنا، كان لزاماً أن نذكر في هذا الباب نماذج من السنة النبوية لأشخاص وطوائف باعوا دينهم بدنياهم، ليبقى أثرهم مخلداً في كتب الحديث، عبرة لكل من آثر الهوى على الهدى، ولنعلم أن الهداية بيد الله وحده، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

فيا من باع الدين، ماذا أخذت؟!

ويا من أضاع الآخرة، بماذا انتفعت؟!

ويا من استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، أيّ خسارة خسرت، وأيّ تجارة تلك التي لم تُربح!

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على صراطه المستقيم، وأن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الفصل الأول: بلعم بن باعوراء العالم الذي باع آيات الله

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكِنِّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكُفِّرْ كَمَا لَ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

ثانياً: ملخص القصة

ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في رجل من بني إسرائيل، يقال له بلعم بن باعوراء، وكان قد أوتي علماً من التوراة واستجيب له في الدعاء، لكنه مال إلى فرعون وملئه، ورغب في دنياهم، فترك ما عنده من العلم، وسخر آيات الله لمصلحة أعداء الله، فصار عبرة لكل من باع دينه بدنياه.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

١ - قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هُوَ بَلْعَمُ بْنُ بَاعُورَاءَ، وَكَانَ يَعْلَمُ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ، فَلَمَّا مَالَ إِلَى قَوْمِهِ وَأَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا، انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ كَمَا تَنْسَلِخُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا» (١).

٢ - «هذا مثل ضربه الله لمن آتاه العلم فلم يعمل به، بل تركه وراء ظهره واتبع هواه، حتى صار كالكلب الذي لا هم له إلا اللهث، في كل حال».

٣- «الآية عامة في كل من أوتي العلم فلم ينفعه، ومال إلى الدنيا، فقد شبّهه الله بالكلب في الخسة والدناءة».

٤- «فيها تحذير عظيم للعلماء أن لا يكون علمهم سبباً للغرور، وأن لا يبيعوا دينهم بمتاع الدنيا، فإن ذلك يردّهم إلى أسوأ العواقب».

رابعاً: وجه الشاهد

بلعم كان عنده رأس المال الحقيقي وهو العلم بآيات الله، لكنه لم يصنعه، بل باعه بضمن مهين من دنيا قومه، فصار مذموماً في القرآن، وضرب به المثل في الخسارة. وهذا أوضح مثال على أن بيع الدين بالدنيا يقود بصاحبه إلى الذلة والهلاك.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- أن العلم وحده لا ينفع إذا لم يتبع بالعمل والإخلاص.
- ٢- أن الميل إلى الدنيا قد يسلب العبد حتى أعظم نعم الله عليه.
- ٣- أن العالم إذا انحرف كان بلاؤه أعظم من غيره؛ لأن الناس يقتدون به.
- ٤- أن من يبيع دينه بدنيا غيره يفضحه الله في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني: السامري صانع الفتنة

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى في قصة موسى مع قومه بعد خروجه إلى ميقات ربه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٨٥) ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ

مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ، خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ [سورة طه: ٨٥-٨٨].

ثانيًا: ملخص القصة:

السامري رجل من بني إسرائيل، كان يُظهر الإيمان لكنه أخفى النفاق في قلبه، فلما ذهب موسى لميقات ربه، استغل غيابه، وجمع الذهب من القوم وصنع لهم عجلًا جسدًا له خوار، فافتتن به الناس وعبدوه من دون الله، فكان سببًا في أعظم فتنة وقعت لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

- ١- «السامري هو الذي صنع العجل من حُلِيِّ القوم، وكان له اطلاع على أثر جبريل عليه السلام حين مرّ، فأخذ قبضة من أثره، وألقاها على الذهب فصار عجلًا له خوار».
- ٢- «السامري استغل غياب موسى عليه السلام، فابتدع لهم عبادة العجل، وزين لهم الضلالة حتى وقعوا فيها».
- ٣- «كان السامري منافقًا مفسدًا، غره ما رأى من أثر الملك جبريل، فخلط الحق بالباطل، وصنع من ذلك فتنة عظيمة».
- ٤- «في القصة أعظم العبر، أن الفتنة إذا زُيّنت للناس، ووجدت غياب القادة الصالحين، انتشرت، وإن كانت من رجل واحد».

رابعًا: وجه الشاهد

السامري باع دينه وخان رسالته، وفضل أن يكون زعيم فتنة على أن يكون تابعًا للحق. باع طاعة الله ورسوله في مقابل سمعة زائفة ومكانة عند قومه، فصار اسمه مقرونًا بالضلال والفتنة في القرآن.

خامسًا: العبرة والعظة

- ١- أن الفتنة قد يصنعها فرد واحد، لكنها تضل أمة كاملة.
- ٢- أن المنافقين يظهرون عند غياب أهل الحق.
- ٣- أن طلب الشهرة والزعامة من دون حق قد يورد العبد موارد الهلاك.
- ٤- أن من يبيع دينه لدنيا قومه يورث الناس ضللاً، ويبوء بإثم نفسه وإثم من أضلهم.

الفصل الثالث: قارون الذي بطر بالمال

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنبَأْنَاهُمْ أَنَّ الْكُتُورَ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَخِثُّوا بِأَلْعَصْبَةِ أَوْ لَى الْقَوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ﴾ (٧٦) وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۖ﴾ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۖ﴾ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا

الْصَّابِرِينَ ﴿٨٠﴾ نَحْشَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكَانُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ [سورة القصص: ٧٦-٨٢].

ثانيًا: ملخص القصة

قارون من قوم موسى عليه السلام، آتاه الله من الكنوز ما لم يُعط أحدًا من العالمين، حتى صارت مفاتيح خزائنه تُثقل الرجال الأقوياء. بدل أن يشكر الله، بطر وتكبر، ونسب النعمة إلى نفسه، وخرج على قومه في زينته فافتتن به الضعفاء. فلما بغى وفسد، خسف الله به وبداره الأرض، فصار عبرة خالدة لكل متكبر مغرور.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «معنى ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: على خبرة ومعرفة في وجوه التجارة، أو على فضل علم من الله استوجب به الغنى».
- ٢ - «كان من بني إسرائيل، وكان قريباً لموسى، لكنه نافق وبغى، ونُسب إليه أنه كان يلبس ثياباً منسوجة بالذهب، يفتن بها الناس».
- ٣ - «جمع المال مع الكبر والبغي فساد عظيم، ولو شكر العبد نعم الله لأنعم الله عليه، لكنه كفر فخسف الله به وبداره».
- ٤ - «الآيات تبين أن الغنى إن لم يُسخر لطاعة الله صار سبباً للهلاك».

رابعاً: وجه الشاهد

قارون باع دينه بالمال، ففضل كنوزه على رضا الله، واغتر بزخارف الدنيا حتى أنسته الآخرة. فكانت عاقبته أن خسف الله به الأرض، فصار مثلاً لكل من قدّم الدنيا على الدين.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- الغنى قد يكون ابتلاءً أشد من الفقر إذا لم يُشكر.
- ٢- الكبر والبغي سبب للهلاك، ولو كان صاحبه من أمة نبي.
- ٣- من نسب النعمة إلى نفسه وكفر فضل الله سلبها وأهلك.
- ٤- لا ينبغي للعبد أن يغتر بزينة الدنيا، فإنها زائلة، والعاقبة للمتقين.

الفصل الرابع: فرعون الذي آثر الرياسة والملك والجاه والمال على الحق

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [سورة الزخرف: ٥٤].

جعل حجة ملكه وأنهاره دليلاً لقومه على صدّهم عن الحق، فباع دينه بسلطان الدنيا. وقال سبحانه عن مقولته لما جاءه موسى بالآيات: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٣٦﴾ [سورة غافر: ٢٦]. أظهر الخوف على «دين القوم» وهو في الحقيقة خوفه على ملكه ودنياه.

وقال تعالى على لسان فرعون مخاطباً الملائكة: ﴿قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ حَوْلِي إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [سورة الشعراء: ٣٤-٣٥].

لم يكن همّه الدين بل الأرض والسلطان، فباع الإيمان في سبيل الحفاظ على الملك.

ثانيًا: ملخص القصة

كان فرعون ملك مصر في زمن موسى عليه السلام، أوتي ملكًا عظيمًا وجندًا كثيرًا، فجعل ذلك سببًا للطغيان والكبر. دعا الناس إلى عبادته، وادعى الربوبية، وحارب دعوة موسى عليه السلام مع وضوح البراهين. لم يكن هدفه إلا الحفاظ على ملكه الزائل، ولو كان الثمن إنكار الحق ومحاربة دين الله. فكان عاقبته الهلاك غرقًا، ثم النار خالدًا فيها.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «في قوله ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٢٤)، أي: لم يكتف بادعاء الربوبية بل زاد في طغيانه حتى ادعى الألوهية العظمى».
- ٢ - «فرعون إنما حمله على ادعاء الربوبية حب الملك والجاه، فخاف ذهاب سلطانه إن آمن بموسى، فقدم دنياه على آخرته».
- ٣ - «﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي استجهلهم، فأطاعوه في الباطل، فكانت طاعتهم له من بيع الدين بالدنيا».
- ٤ - «إن فرعون غلب عليه حب الملك حتى أنكر ما هو أوضح من الشمس، فصار مثلاً لكل من باع دينه بسلطان».

رابعًا: وجه الشاهد

فرعون أثر ملكًا زائلًا على الحق البين، فكان رأسًا فيمن باعوا الدين بثمان مهين. لم يكن همه إلا السلطان، فضحى بالآخرة كلها في سبيل دنيا لا تدوم.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- من جعل الدنيا أكبر همه خسر آخرته.
- ٢- الملك والجاه لا يدومان، والتمسك بهما على حساب الدين يورد موارد الهلاك.
- ٣- من تبع الباطل وخذل الحق خذله الله في الدنيا قبل الآخرة.
- ٤- لا ينفع صاحب الباطل جنوده ولا سلطانه عند نزول بأس الله.

الفصل الخامس: المنافقون الذين باعوا الدين خوفاً أو طمعا

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ [سورة النساء: ١٤١-١٤٢].

وقال جل وعلا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ [سورة العنكبوت: ١٠].

ثانياً: ملخص أخبارهم:

المنافقون في زمن النبي ﷺ كانوا يظهرون الإسلام ليحصلوا على الأمان والمكاسب، ويخفون الكفر في قلوبهم خوفاً من ضياع مصالحهم أو رجاء في حظوة

عند الكافرين. صاروا يتربصون بالنصر والهزيمة، يركنون إلى حيث المصلحة، فلا ثبات لهم على الحق، ولا إخلاص في الدين.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «قوله ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ أي: يظهرون له ولرسوله غير ما في قلوبهم من الكفر، رجاء سلامة دنياهم، والله مجازيهم على نفاقهم».
- ٢ - «المنافق يتربص الدوائر، فإن كانت الدولة للمؤمنين أظهر أنه معهم، وإن كانت للكافرين عاد إليهم، فهو عبدٌ للدنيا لا للحق».
- ٣ - «قوله ﴿قَامُوا كَسَالَى﴾ دليل على أن صلاتهم إنما كانت رياءً للناس، طمعاً في دنياهم، لا رغبةً في ثواب ولا خوفاً من عقاب».
- ٤ - «المنافق إنما أظهر الدين طلباً للسلامة أو منفعة، فلذلك ذمهم الله أشد الذم».

رابعاً: وجه الشاهد

المنافقون باعوا دينهم بثمان مهين، فقد جعلوا الإسلام قناعاً لمطامع دنيوية، ولم يعملوا للأخرة، بل ترددوا بين المعسكرين، يطلبون الغلبة حيث كانت، فجعلهم الله في الدرك الأسفل من النار.

خامساً: العبرة والعظة

- ١ - النفاق هو أوضح صور بيع الدين بالدنيا.
- ٢ - من جعل همّه السلامة والمصلحة فحسب ضاع دينه.
- ٣ - الرياء في الطاعة من علامات خذلان الله.

٤- المنافقون قدوة سيئة لكل من يساوم على الحق من أجل منصب أو مال.

الفصل السادس: أصحاب السبت الذين احتالوا على شرع الله

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَسَأَلُهُمْ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لَمَنْ نَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

ثانياً: ملخص القصة

ابتلى الله بني إسرائيل بأن حرّم عليهم الصيد يوم السبت، فكان الحيتان تأتيهم ظاهرة يوم السبت ولا تأتيهم في بقية الأسبوع. فاحتالوا على الشرع بحيلة ماهرة؛ ينصبون شباكهم يوم الجمعة ويجمعونها يوم الأحد، زاعمين أنهم لم يصيدوا يوم السبت! فخسف الله بهم وابتلاهم بمسخهم قردة خاسئين.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

١- «كان من الحيل أنهم يحفرون الحياض قبل السبت، فتقع فيها الحيتان يوم السبت، فيأخذونها بعده، فعدهم الله معتدين».

- ٢- «هذه القصة مثل على أن الله يمتحن عباده بما يظهر به طاعتهم من معصيتهم».
- ٣- «يدل هذا على أن من تحايل على إسقاط الواجبات أو ارتكاب المحرمات لم ينج من المآثم».

رابعاً: وجه الشاهد

باعوا الدين بحيلة يسيرة لينالوا لذة الصيد، فجمعوا بين المعصية والاستهزاء بالشرعية.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- من احتال على الشرع لم تنفعه حيلته.
- ٢- الغش في الدين أعظم من الغش في الدنيا.
- ٣- العقوبات تأتي من جنس الذنب؛ كما مسخوا قرده لخستهم.

الفصل السابع: أهل الكتاب الذين كتموا الحق بالرشوة

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٧٤].

ثانياً: ملخص القصة

كان علماء اليهود يكتُمون ما في التوراة من بشارات النبي ﷺ، ويدلون كلام الله بالتحريف، طمعاً في دنيا يسيرة من المال والجاه.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «أي يكتمون ما في كتبهم ليأخذوا الرشا».
- ٢ - «أكلهم للحرام جعلهم بمنزلة من يملأ بطنه ناراً».

رابعاً: وجه الشاهد

باعوا الحق وأخفوه لأجل مصالح الدنيا، فاستحقوا اللعنة.

خامساً: العبرة والعظة

- ١ - العالم إذا كتم العلم غُشَّت الأمة.
- ٢ - من غش الأمة أوردتها المهالك.
- ٣ - لا شيء أضر من تبديل الوحي لأجل الدنيا.

الفصل الثامن: أصحاب الأخدود الذين فضّلوا الملك على الإيمان

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [سورة البروج: ٤-٨].

ثانياً: ملخص القصة

ملك جبار مع جنوده ضاقوا بدعوة التوحيد، فشقوا الأخاديد وألقوا فيها المؤمنين أحياء، لا شيء إلا أن قالوا: ربنا الله.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «هؤلاء قوم من النصارى الأوائل، أحرقتهم ملك كافر، وصبروا على دينهم».
- ٢ - «باع الكفار الحق بالباطل لأجل ملك زائل».

رابعاً: وجه الشاهد

آثر الملك والجبروت على اتباع الدين.

خامساً: العبرة والعظة

- ١ - الظلم مهما بلغ مآله إلى الخسران.
- ٢ - ثبات المؤمنين هو الربح الحقيقي.
- ٣ - من باع دينه سلط الله عليه من يذله.

الفصل التاسع: مشركو مكة - الذين آثروا الرياسة على اتباع الحق

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [سورة الزخرف: ٣١].

ثانياً: ملخص القصة

أدرك سادة قريش صدق القرآن، لكنهم كذبوا حسداً، وقالوا: هلا نزل على عظيم من مكة أو الطوائف! فكذبوا الحق لأنهم أرادوا أن تبقى لهم الرياسة.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «قالوا: لو كان محمد نبياً لنزل الوحي على الوليد بن المغيرة أو عروة الثقفي».
- ٢ - «لم ينكروا الحق بل حسدوا أن يكون في محمد ﷺ».

رابعاً: وجه الشاهد

ضحوا بالإيمان لأجل الرياسة الجوفاء.

خامساً: العبرة والعظة

- ١ - الرياسة والكبر أكبر موانع الهداية.
- ٢ - من آثر الدنيا حُرِمَ نور الحق.
- ٣ - العبرة باتباع الحق لا بأسماء الرجال.

الفصل العاشر: أصحاب طالوت الذين شربوا من النهر

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مُّبْتَلَوْنَ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ إِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

ثانياً: ملخص القصة

ابتلاههم الله بالنهر، فمن صبر نجى، ومن شرب خالف الأمر، فلم يبق مع طالوت إلا

قليل.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «من شرب منه انهزم، ولم يثبت مع طالوت».
- ٢ - «كان ابتلاءً ليميز الصادق من الكاذب».
- ٣ - «شهوة يسيرة كانت سبب الحرمان من شرف الجهاد».

رابعاً: وجه الشاهد

باعوا طاعة الله برشفة ماء!

خامساً: العبرة

من لم يضبط نفسه عن الشهوة لا يضبطها عن المعصية الكبرى.

الفصل الحادي عشر: أصحاب القرية المكذبون للمرسلين

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْفَوِرَ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾

[سورة يس: ٢٠].

ثانياً: ملخص القصة

أرسل الله إليهم ثلاثة رسل، فكذبوهم، وآثروا دنياهم، وقتلوا المؤمن الصادق.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «القرية هي أنطاكية، والرسل كانوا رسل عيسى».

٢- «الرجل الذي جاء من أقصى المدينة هو حبيب النجار، نُصحهم فقتلوه».

٣- «فضل الرجل المؤمن أنه نصح قومه حتى قتل».

رابعًا: وجه الشاهد

أعرضوا عن دعوة الحق ليتشبثوا بالباطل.

خامسًا: العبرة

من باع نصرة الدين خسر الدنيا والآخرة، ولو ظن أنه رابح.

الفصل الثاني عشر: قوم لوط الذين باعوا الفطرة

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٩].

ثانيًا: ملخص القصة

ابتدعوا الفاحشة المنكرة، وتركوا ما أحل الله، فدمرهم الله بعذاب مهين.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

١- «قطعوا السبيل بارتكابهم الفاحشة».

٢- «كانوا أول من فعل الفاحشة بالرجال».

٣- «قلبوا الفطرة، فأهلكهم الله».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا طهارة الفطرة بخبث الشهوة.

خامسًا: العبرة

من قلب الفطرة أهلك نفسه وأهلك أمته.

الفصل الثالث عشر: أصحاب الجنة الذي بخلوا

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القلم: ١٧-١٨].

ثانيًا: ملخص القصة

كان لهم بستان مثمر، فأرادوا جني ثمره دون إعطاء الفقراء حقهم، فعاقبهم الله بأن أهلك الجنة كلها.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

١- «تركوا قول إن شاء الله، وأضمرنا منع حق الفقراء».

٢- «هذا مثل لأهل مكة الذين بخلوا بحق الله».

٣- «بخلوا باليسير، فحرمهم الله الكثير».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا البركة بالحرص والبخل.

خامساً: العبرة

المال إذا لم يُرَكَ صار وبالاً على أهله.

الفصل الرابع عشر: قوم سبأ الذين كفروا النعمة**أولاً: نص الآية**

قال الله تعالى: ﴿فَاعْرُضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة سبأ: ١٦].

ثانياً: ملخص القصة

أعطوا جنّتين عظيمتين، فكفروا بالنعمة، فابتلاهم الله بسيل العرم، فذهبت جنتاهم.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١- «أعرضوا عن طاعة الله، فأهلك جنتاهم».
- ٢- «كانوا في خير، فكفروا، فأبدلهم الله شقاءً».
- ٣- «الكفر بالنعمة سبب زوالها».

رابعاً: وجه الشاهد

باعوا شكر النعمة بالكفر.

خامساً: العبرة

من لم يشكر الله، سُلِب ما عنده.

الفصل الخامس عشر: أقوام الأنبياء المكذبون – قوم نوح، عاد، ثمود، مدين

أولاً: نصوص الآيات

قوم نوح: ﴿كَذَّبُوهُ فَجَعْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة يونس: ٧٣].

عاد: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة فصلت: ١٥].

ثمود: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ٧٧].

مدين: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحْجِطُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة هود: ٨٤].

ثانياً: ملخص القصة

كل قوم باعوا طاعة الله بديناهم: نوح قومه بالشرك، عاد بالقوة، ثمود بالبطش، مدين بالمال والميزان.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «قصص هؤلاء عبرة للأمم بعدهم».
- ٢ - «سنة الله أن من أعرض عن الدين أهلكه».

رابعًا: وجه الشاهد

بيع الدين بالدنيا كان جامع هلاكهم.

خامسًا: العبرة

السنن الإلهية لا تحابي أحدًا: من باع الدين ضاع، ولو كان أمة كاملة.

الفصل السادس عشر: أصحاب الفيل الذين باعوا الآخرة بخدمة ملك متجبر

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَكَفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ [سورة الفيل: ١-٥].

ثانيًا: ملخص القصة

خرج أبرهة الحبشي بجيش عظيم يتقدمه الفيل لهدم الكعبة، واتبعه قومه في هذا الكيد طمعًا في رضا الملك وخدمة دنياه. فلما وصلوا مكة، أرسل الله عليهم طيرًا تحمل حجارة صغيرة فأهلكتهم عن آخرهم، وصاروا كالعصف المأكول.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «جعل الله قصدهم لهدم البيت في ضلال، لا يبلغون ما أرادوا، بل صار وبالًا عليهم»
- ٢ - «كانوا في قوة عظيمة، لكن لا قوة تعلو على قوة الله، فأرسل عليهم جندًا من السماء فأهلكهم».

٣- «فيه دليل على أن الله يدافع عن بيته وحرمة، ولو لم يكن فيه آنذاك من يعمره».

رابعًا: وجه الشاهد

أصحاب الفيل باعوا آخرتهم بخدمة ملك متجبر، سخرهم لغرض باطل، فلم ينفعهم جيش ولا فيل، ولا قوتهم، فصاروا عبرة باقية.

خامسًا: العبرة والعظة

- ١- من باع دينه بخدمة سلطان جائر هلك معه.
- ٢- الله تعالى يدافع عن بيته وحرمة ولو لم يكن للناس حوله قوة.
- ٣- الطغاة مهما جمعوا من جيوش فإنهم أمام قدرة الله لا شيء.
- ٤- العبرة أن خدمة الباطل خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة.
- ٥- فرعون قارون أصحاب الفيل بعلم السامري المنافقون أصحاب السبب أهل الكتاب أصحاب الأخدود مشركو مكة أصحاب القرية أصحاب طالوت أصحاب الجنة قوم سبأ قوم لوط

الفصل السابع عشر: قوم نوح - الذين ركنوا إلى الدنيا وكذبوا نبيهم

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [سورة الأعراف: ٦٤].

ثانيًا: ملخص القصة

مكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله، فاختاروا

الدنيا على الآخرة، وأعرضوا عن طاعته، حتى أغرقهم الله بالطوفان.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

١ - «أعرضوا عن اتباع نوح وكذبوه بعد طول دعوته».

٢ - «مكث فيهم دهوراً فلم يؤمن معه إلا قليل».

رابعاً: وجه الشاهد

آثروا الكفر والدنيا على النجاة بالإيمان.

خامساً: العبرة والعظة

١ - طول العمر لا ينفع مع الإعراض.

٢ - من باع دينه بالكفر هلك.

الفصل الثامن عشر: قوم هود عاد الذين باعوا قوتهم بالمعصية

قال الله تعالى: ﴿أَتَجْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)

وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) [سورة الشعراء: ١٢٨-١٣٠].

ثانياً: ملخص القصة

أعطوا قوة وبسطة في الأجسام والعمران، فاستغلوها للبطش والعلو، وتركوا دعوة هود إلى التوحيد.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

١ - «كانوا يتفاخرون بالبنيان والجبروت».

٢ - «أعطاهم الله قوة فأعرضوا عن الحق».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا الإيمان بالرياسة والبطش.

خامسًا: العبرة والعظة

القوة بلا إيمان وبال على صاحبها.

الفصل التاسع عشر: قوم صالح - ثمود الذين اختاروا الدنيا على آية الناقة

قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَتَا يَمًا تَعْدُنَا إِنْ

كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٧].

ثانيًا: ملخص القصة

أرسل الله ناقة معجزة، فأثروا شهوة المال والزرع، فقتلوا الناقة وكذبوا صالحًا.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

١ - «استكبروا عن الحق وأخلدوا إلى الدنيا».

٢ - «عقروا الناقة بغياً وحسداً».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا الآخرة بالدنيا وعاقبهم الله بالصاعقة.

خامسًا: العبرة والعظة

من كذب آيات الله حُرِمَ الخير كله.

الفصل العشرون: قوم شعيب أصحاب مدين الذين باعوا دينهم بالميزان

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٨١-١٨٣].

ثانياً: ملخص القصة

أهل مدين كانوا أهل غش في المكيال والميزان، يبيعون دينهم بالمال، فكذبوا شعيباً فأخذتهم الرجفة.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

١ - «كانوا يبخسون حقوق الناس لأجل الدنيا».

٢ - «غلبت عليهم شهوة المال».

رابعاً: وجه الشاهد

باعوا الحق بالدرهم والدينار.

خامساً: العبرة والعظة

الغش في المعاملة باب من أبواب بيع الدين.

الفصل الحادي والعشرون: بنو إسرائيل الذين اتخذوا العجل

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا

يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ [سورة الأعراف: ١٤٨].

ثانيًا: ملخص القصة

بعد أن أنجاهم الله، فُتِنُوا بزينة الدنيا وحليّها، فاتخذوا من ذهبهم عَجَلًا يعبدونه.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

١ - «أعجبوا بزخرف الدنيا من الحُلِيِّ».

٢ - «أخذوا زينة الدنيا فاتخذوها وثنًا».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا التوحيد بالذهب.

خامسًا: العبرة والعظة

حب المال والزينة يردي بصاحبه إلى الشرك.

الفصل الثاني والعشرون: بنو إسرائيل الذين رفضوا دخول الأرض المقدسة

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن

يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٢٢].

ثانيًا: ملخص القصة

خافوا على دنياهم وأموالهم، فتركوا طاعة الله ودخول الأرض المقدسة.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

١ - «جنبوا عن قتال الكفار لأجل الدنيا».

٢ - «فضلوا العيش في التيه على الجهاد».

رابعاً: وجه الشاهد

باعوا الجنة بالراحة والدنيا.

خامساً: العبرة والعظة

من جبن عن الجهاد خسر الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث والعشرون: بنو إسرائيل الذين طلبوا البديل من المن والسلوى

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدْ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْثِي الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّيْهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَيُصْلِحْهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيْطُوا مَضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ [سورة البقرة: ٦١].

ثانياً: ملخص القصة

استبدلوا رزق الله الطيب بالعدس والبصل، حباً لشهوات الدنيا.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - « طلبوا أخس الطعام بدلاً من أشرفه ».
- ٢ - « آثروا الدنيا على ما أعطوا من المن والسلوى »

رابعاً: وجه الشاهد

باعوا شكر الله بشهوة البطون.

خامساً: العبرة والعظة

كفران النعم يجزّ الحرمان.

الفصل الرابع والعشرون: امرأة نوح وامرأة لوط – من خانتا الدين

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِيْنَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة التحريم: ١٠].

ثانياً: ملخص القصة

مع أنهن زوجات أنبياء، خنّ دين أزواجهن، وركنّ إلى الدنيا والكفر.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - « خانتا في الدين لا في الفراش ».
- ٢ - « خانتا بكتمان الكفر ونصرة أهله ».

رابعًا: وجه الشاهد

باعتا الدين بقرابة الدنيا.

خامسًا: العبرة والعظة

النسب لا يغني عن الدين شيئًا.

الفصل الخامس والعشرون: الذين اشترطوا القربان تأكله النار**أولًا: نص الآية**

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٣].

ثانيًا: ملخص القصة

زعم أهل الكتاب أنهم لا يؤمنون برسول حتى يأتيهم بعلامة خاصة (قربان تأكله النار)، مع أن أنبياء سبقوا وفعلوا ذلك، ومع ذلك قتلوهم؛ فكان قصدهم التذرّع بالدنيا واتباع الهوى لا طلب الحق.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «اشترطوا شرطًا تعنتًا لا طلبًا للحق».
- ٢ - «كانوا كاذبين في دعواهم، فقتلوا من جاءهم بما طلبوا».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا دينهم بالمكابرة، طلبوا شرطًا دنيويًا للتصديق، فلما جاءهم كفروا.

خامسًا: العبرة والعظة

من جعل هواه ميزان الإيمان ضلّ وهلك.

الفصل السادس والعشرون: الذين اغتروا بالدنيا من بني إسرائيل

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩].

ثانيًا: ملخص القصة

جاء جيل من بني إسرائيل يرثون الكتاب، ومع ذلك كانوا يأخذون الدنيا والرشوة ويقولون: سيغفر لنا. فجمعوا بين الذنب والاعتذار بالمغفرة.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «كانوا يأخذون الحرام من الرشى».
- ٢ - «يتناولون المحارم ويغترون بالمغفرة».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا الكتاب والحق بالرشوة والعرض القليل.

خامسًا: العبرة والعظة

الاغترار بسعة رحمة الله مع الإصرار على المعصية من أعظم أسباب الخذلان.

الفصل السابع والعشرون: الأخبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ٣٤].

ثانيًا: ملخص القصة

ذم الله علماء السوء الذين باعوا دينهم بأموال الناس، وأضلّوهم عن طريق الله.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - «كانوا يأخذون الرشى في أحكامهم».
- ٢ - «يلبسون على الناس دينهم لأجل الدنيا».

رابعًا: وجه الشاهد

باعوا دينهم بالمال والجاه.

خامسًا: العبرة والعظة

العالم إذا باع دينه أفسد غيره وهلك هو.

الفصل الثامن والعشرون: الذين اشتروا الضلالة بالهدى

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِتَجَارِئِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

﴿١٦﴾ [سورة البقرة: ١٦].

ثانياً: ملخص القصة

ذم الله طائفة المنافقين والمكذبين الذين باعوا الهدى بأهواء الدنيا.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

١ - «تركوا الإيمان واتبعوا الكفر طمعاً في الدنيا».

٢ - «أخذوا الضلالة وتركوا الهدى».

رابعاً: وجه الشاهد

هو البيع الخاسر بعينه: ترك الهدى للدنيا.

خامساً: العبرة والعظة

الدنيا رأس مال خاسر إذا أخذ بدل الدين.

الفصل التاسع والعشرون: من أثار الحياة الدنيا على الآخرة

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ

عَنْ ءَايَاتِنَا غَفِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ إِلَّا مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [سورة يونس: ٧-٨]

[٨].

ثانيًا: ملخص القصة

هذه قاعدة عامة تشمل كل من باع دينه بدنيا فانية.

ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين

١ - «رضوا بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة».

٢ - «آثروا الدنيا على الآخرة».

رابعًا: وجه الشاهد

الآية تجمع جميع الصور السابقة.

خامسًا: العبرة والعظة

من رضي بالدنيا بديلاً عن الآخرة فقد خسر الصفقة الكبرى.

الفصل الثلاثون: أبو لهب وامراته من باعا الدين بالعداوة والبغضاء

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [سورة المسد: ١-٥].

ثانيًا: ملخص القصة

كان أبو لهب عم النبي ﷺ، ولكنه عاداه وجاهر بعداوته، وسخر ماله

وجاهه لصدّ الناس عن الدعوة. وساندته امرأته أم جميل بنت حرب، فكانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ، وتؤذيه بلسانها. فأنزل الله فيهما سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة، فيها لعنتهما ووعيدهما بالنار، ليكونا مثلاً لمن باع القرابة والدين والآخرة مقابل دنيا زائلة.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١- إنما ذكر امرأته مع أنه جرت العادة بذكر الأزواج دون النساء، لزيادة التنبيه على عظم جريرتها.
- ٢- سمّيت حمالة الحطب لأنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس، فشبهت بالخطّابة التي تزيد النار وقوداً.
- ٣- وفي هذه السورة دليل على أن المال والجاه لا يغنيان عن صاحبهما إذا كذب بالحق وحارب أهله.

رابعاً: وجه الشاهد

أبو لهب لم يكن ينقصه شرف النسب ولا المال، لكنه باع دينه بدنياه قومه، وآثر العداوة للرسول ﷺ على اتباع الحق، فصار مضروب المثل في الخسران، ونزلت فيه سورة خاصة تفضحه على رؤوس الأشهاد.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- أن القرابة لا تنفع صاحبها إذا عادى دين الله.
- ٢- أن المال والجاه لا يقيان صاحبهما من عذاب الله إذا حارب الحق.

- ٣- أن من يعادي أهل الإيمان يبوء بالخسران في الدنيا والآخرة.
- ٤- أن الله قد يخلد ذكر بعض العصاة بالذم، كما خلّد ذكر أبي لهب وامراته عبر الأجيال.

الفصل الحادي والثلاثون: مانعوا الزكاة - من باعوا الدين بالمال

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة فصلت: ٦-٧].

ثانياً: ملخص القصة

بعد وفاة النبي ﷺ ارتدّ طوائف من العرب، فمنهم من أنكر النبوة، ومنهم من منع الزكاة بخلاً وطمعاً في المال، وزعموا أنها لا تؤخذ إلا لرسول الله ﷺ. فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقاتلهم وقال كلمته المشهورة: «وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ». فكانوا مثلاً لمن باع دينه لأجل حطام الدنيا الزائل.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١- وكانت طوائف من العرب قد منعوا الزكاة، فجهّز أبو بكر الجيوش لقتالهم، حتى رجعوا إلى الحق صاغرين.
- ٢- استدلّ أبو بكر بحديث النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»، فدلّ على أن منع الزكاة

كفر وردة.

رابعًا: وجه الشاهد

هؤلاء لم يمنعوا الزكاة إلا حبًا للمال، فقدّموا الدنيا على طاعة الله، فكانوا ممن باعوا الدين بثمان مهين.

خامسًا: العبرة والعظة

- ١- أن من بخل بحق الله في المال استحق وعيد الله في الدنيا والآخرة.
- ٢- أن أبا بكر رضي الله عنه كان قدوة في الثبات، فلم يُفَرِّق بين شعائر الإسلام.
- ٣- أن المال قد يكون فتنة عظيمة إذا لم يُصرف في طاعة الله.
- ٤- أن القتال على الزكاة كان لحفظ ركن عظيم من أركان الدين.

الفصل الثاني والثلاثون: المنافقون يوم تبوك - الذين باعوا الدين بعذر الدنيا

أولاً: نص الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٩].

قال الله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨٧].

ثانيًا: ملخص القصة

لما دعا النبي ﷺ إلى غزوة تبوك - وكانت في حرٍّ شديد ومسافة بعيدة - تخلف كثير من المنافقين، وجاؤوا يعتذرون بأعذار واهية.

ومنهم من قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَذْنَ لِي وَلَا نَفْتِي﴾ أي لا تخرجني حتى لا أفتن بالنساء! فأذن لهم النبي ﷺ ظاهراً ووكل سرائرهم إلى الله. وقد بين القرآن أن هؤلاء لم يكن قصدهم إلا الدنيا، وفضح نواياهم بأنهم وقعوا في الفتنة العظمى وهي النفاق.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١ - قالوا: ذرنا ولا تخرجنا معك إلى الجهاد، فنحن نخشى الفتنة بنساء الروم، فردّ الله عليهم بقوله: ألا في الفتنة سقطوا.
- ٢ - اعتذر بعضهم بأنه يخشى الفتنة بالنساء، فكان عذره أكذب من ذنبه، إذ وقع في الفتنة العظمى وهي الكفر والنفاق.
- ٣ - كل من قدّم شهوة الدنيا على طاعة الله فقد سقط في الفتنة، ولو زعم أنه يريد السلامة منها.

رابعاً: وجه الشاهد

هؤلاء تركوا الجهاد مع النبي ﷺ وفَضّلوا الراحة والدنيا، فباعوا دينهم بعذرٍ كاذب. وصاروا مثلاً لمن يستعمل الحجب الدنيوية ليترك طاعة الله ورسوله.

خامساً: العبرة والعظة

- ١ - أن الأعذار الدنيوية لا تنفع العبد إذا ترك بها طاعة الله.
- ٢ - أن من خاف فتنة صغيرة (كالنساء أو المال) وهو صادق، وجب أن يحصّن نفسه بالطاعة لا أن يتركها.

٣- أن الله يفضح المنافقين، ويكشف سرائرهم بآياته.

٤- أن أعظم فتنة هي ترك الحق من أجل الدنيا.

الفصل الثالث والثلاثون: سحرة فرعون - الذين باعوا علمهم بالسحر والدنيا قبل أن يهتدوا

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ١١٣-١١٤].

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ٤١-٤٢].

ثانياً: ملخص القصة

جمع فرعون السحرة ليعارضوا معجزة موسى عليه السلام، فجاؤوا طامعين في الأجر والجاه والقرب من الملك. فكان قصدهم المال والرياسة لا نصرة الحق. فلما رأوا آية الله الباهرة بسقوط عصيهم وحبالهم، انقلب حالهم من بيع الدين بالدنيا إلى الإيمان الصادق، فسجدوا لله رب العالمين، ولم يبالوا بوعيد فرعون ولا بقطع الأيدي والأرجل.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١- كانوا يطلبون على سحرهم المال والجاه، ولذلك قالوا: إن لنا لأجراً.
- ٢- أول ما اجتمعوا عليه كان طلب الدنيا، فلما تبين لهم الحق انقلبوا من أكفر الناس إلى أصدق الناس إيماناً.
- ٣- انظر كيف انتقلوا في لحظة من غاية الضلال إلى غاية الهدى، وذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء.

رابعًا: وجه الشاهد

السحرة مثال واضح على من يبيع دينه بالمال والجاه؛ إذ كان قصدهم أولاً القرب من فرعون ونيل عطائه. ولكن حين رأوا الحق آمنوا، فصاروا قدوة في الرجوع إلى الله بعد الضلال.

خامسًا: العبرة والعظة

- ١- أن من طلب الدنيا بالباطل خسر ولو ظن أنه رابح.
- ٢- أن القلب قد يُقلب في لحظة من الكفر إلى الإيمان إذا شرح الله صدر صاحبه.
- ٣- أن الثبات على الحق بعد معرفته أعظم من الدنيا كلها.
- ٤- أن من يبيع دينه أولاً قد يُكرمه الله بالهداية إذا أخلص بعد ذلك.

الفصل الرابع والثلاثون: عبد الله بن سعد بن أبي سرح - الكاتب الذي ارتد عن الوحي

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ تُخْرَجُونَ مِنْ عَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله.

ثانيًا: ملخص القصة

كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح من كتبة الوحي لرسول الله ﷺ، فزيّن له الشيطان وقال: أنا أكتب ما شئت، وأغيّر إذا أردت، فإن قال محمد: سميع عليم، قلت: عليم حكيم. فارتد عن الإسلام، ولحق بالمشرّكين، وقال: أنا أنزل مثل ما أنزل الله!، وكان ذلك أعظم افتراء على الله عز وجل.

وبعد فتح مكة، جاء به عثمان رضي الله عنه مستأمنًا، فأمنه النبي ﷺ وقبل توبته ظاهرًا، وصار بعد ذلك واليًا لمصر.

ثالثًا: أقوال أهل العلم

١- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ فَلَحِقَ بِالْكَفَّارِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَاسْتَجَارَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَأَجَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» (١)

٢- هذا كان من جملة من ارتد عن الإسلام، ثم عاد إليه، وهو أحد الذين استثناهم النبي ﷺ يوم فتح مكة من الأمان.

٣- فيه دليل على أن الردة بعد الإسلام من أعظم الذنوب، ولا سيما إذا كانت ممن كان قريبًا من الرسول ﷺ.

(١) رواه أبو داود (٤٣٥٨) وحسنه الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٥٦٨).

رابعًا: وجه الشاهد

هذا الرجل باع دينه بعد أن وصل إلى منزلة عظيمة بكتابة الوحي، فترك الهدى واتبع هواه، وزعم أنه يقدر أن يأتي بمثل القرآن، فكان ممن باع الدين بالدنيا والهوى.

خامسًا: العبرة والعظة

- ١- أن القرب من الصالحين لا ينفع إذا لم يكن مع صاحبه إخلاص وثبات.
- ٢- أن الردة بعد الإسلام من أعظم صور بيع الدين.
- ٣- أن الله يمهل العبد، فإن تاب قبل منه، وإن مات على كفره قصمه.
- ٤- أن أشد الناس عذابًا من عرف الحق ثم أعرض عنه.

الفصل الخامس والثلاثون: الذين قالوا سمعنا وعصينا - من بني إسرائيل الذين باعوا الطاعة بالمعصية

أولًا: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٩٣].

ثانيًا: ملخص القصة

أخذ الله على بني إسرائيل العهد أن يعملوا بما أنزل عليهم، ورفع فوقهم جبل الطور تهديدًا لهم ليأخذوا الكتاب بقوة. فأجابوا بلسانهم قائلين: «سمعنا وعصينا». فجمعوا بين الإقرار بالحق وترك العمل به، وركنوا إلى عبادة العجل، فخسروا الدنيا والآخرة.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١- معنى قولهم سمعنا وعصينا: سمعنا قولك يا ربنا، وعصينا أمرك، وهذا غاية الجحود والعناد.
- ٢- أشربوا في قلوبهم حب العجل، أي خالط محبته قلوبهم حتى صارت كالشراب الممتزج بالدم.
- ٣- في الآية ذم لهم، حيث جمعوا بين سماع الحق ومعصيته، فكان ذلك من أعظم أسباب غضب الله عليهم.
- ٤- هذه حال كل من أعطي العلم ولم يعمل به، يسمع أوامر الله ثم يعرض عنها، ويختار هواه.

رابعاً: وجه الشاهد

بنو إسرائيل عرفوا الحق وسمعوه بأذنه، لكنهم قدّموا الدنيا وشهواتهم على طاعة الله، فكانوا ممن باعوا الدين بالمعصية.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- أن العلم إذا لم يُتبع بالطاعة كان وبلاً على صاحبه.
- ٢- أن طاعة الله لا تنفع إلا إذا اقترنت بالعمل والاتباع.
- ٣- أن من قدّم هواه على شرع الله خسر في الدنيا والآخرة.
- ٤- أن قول: سمعنا وعصينا شعار المنافقين والعصاة، بخلاف المؤمنين الصادقين الذين يقولون: سمعنا وأطعنا.

الفصل السادس والثلاثون: الأبحار والرهبان – الذين باعوا الدين بأكل أموال الناس بالباطل

أولاً: نص الآية

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ٣٤].

ثانياً: ملخص القصة

أخبر الله تعالى أن كثيراً من علماء اليهود وrehبان النصارى خانوا الأمانة، فباعوا دينهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وأخذوا الأموال بالرشوة والباطل، وزعموا أنهم على الحق. فصاروا فتنة للناس، وصدّوهم عن سبيل الله.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

- ١- كانوا يأخذون الرشاً على تحريف الأحكام، ويأكلون أموال الناس بالباطل، أي بغير حق.
- ٢- كانوا يأكلون أموال الناس بالرشاوي، ويصدونهم عن اتباع الحق بما يلبسون عليهم.
- ٣- هذه الآية تعمّ كل من أكل أموال الناس بغير حق، من علماء السوء والقضاة الجائرين وغيرهم.
- ٤- كل من تكسّب بالدين الدنيا، فهو داخل في وعيد هذه الآية.

رابعًا: وجه الشاهد

الأحبار والرهبان قدّموا الدنيا والمال على الدين والحق، فباعوا علمهم بثمن مهين، وصدّوا الناس عن سبيل الله، فاستحقوا الوعيد الشديد.

خامسًا: العبرة والعظة

- ١- أن العالم إذا خان أمانة العلم صار أضرب على الناس من الجاهل.
- ٢- أن طلب المال بالدين من أعظم أبواب الفتنة والهلاك.
- ٣- أن من يصدّ الناس عن سبيل الله لأجل مصالحه الدنيوية، فهو من أشد الناس جرمًا.
- ٤- أن الله توعد هؤلاء بعذاب أليم، وجعلهم عبرة لكل من باع دينه بدنياه.

الباب الخامس:

نماذج من السنة ممن باع الدين بثمان مهين

إن من أعظم البلاء على العبد أن يبيع دينه، وهو أعظم ما يملك، بعرض زائل حقير من الدنيا، فلا هو ربح دنياه، ولا سلمت له آخرته. وقد صدق القائل: «من باع آخرته بدنيه فقد خسرهما جميعاً».

والدنيا مهما راقت للنفوس وزخرفت للعيون، فإنها ظل زائل، ومتاع قليل، لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

وقد قصّت السنة النبوية بين طياتها أخبار رجال وأقوام وقفوا مواقف الخزي والخذلان، باعوا دينهم بعرض يسير، فصاروا أمثلة في الهوان، وعبرة لكل معتبر.

فمنهم من نافق نفاقاً أكبر طمعاً في مال أو جاه، ومنهم من غلّ في الغنيمة لشراك نعل أو بردة حقيرة، ومنهم من خان عهد الله ورسوله بأدنى إشارة أو ميل إلى أعداء الدين.

فانظر كيف صاروا بعد عزّ الإسلام إلى ذلّ المعصية، وكيف انطفأت شموعهم في ليل التاريخ، لا يُذكرون إلا بالخيانة، ولا يُعرفون إلا بالغدر، وقد طبعت أسماءهم في سجل الخاسرين، وخلّد الحديث أخبارهم ليبقى في كل جيل نداء يجلجل في القلوب: إياك أن تبيع دينك بعرضٍ مهين.

الفصل الأول ذو الخويصرة التميمي (أصل الخوارج)

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ قَسَمًا،

جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: «إِعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ». فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ». فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ». فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، يَنْظُرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ... سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَّمُ» (١).

هذا الرجل اعترض على عدل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكان أول بذرة للخوارج الذين باعوا الدين بفتنة الغلو والهوى. لم يتفنعوا بالعبادة الظاهرة، إذ قلوبهم فاسدة، يطلبون السمعة والسيادة لا وجه الله.

وصفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنهم يمرقون من الدين، أي يخرجون منه بسرعة كما يخرج السهم من الرمية بلا أثر، لم يكن قصدهم نصرة الدين، بل طلب الدنيا بالزعامة باسم الدين.

وفي هذا تحذير من دعاة الفتنة الذين يرفعون شعارات براقة لكنهم أبعد الناس عن الحق. فذو الخويصرة نموذج لمن يلبس على الناس أمر دينهم، فيبيع طاعة الله باتباع الهوى.

الفصل الثاني كعب بن الأشرف اليهودي

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَعَبَ بِنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ». فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَجِبُ أَنْ

(١) متفق عليه: البخاري (٦٩٣٣)، مسلم (١٠٦٤).

أَقْتَلَهُ؟» قَالَ: «نَعَمْ». فَذَهَبُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ. (١)

كعب بن الأشرف باع دينه بدنيا اليهود، أثار الفتن وحرّض على رسول الله ﷺ ونقض العهد بعد أن عرف صدق النبي ﷺ. كان يمدح المشركين وينشد في نساء المسلمين شعراً فاحشاً، فجمع بين فجور اللسان وخيانة العهد، فصار موته آية على أن الله ينتقم ممن يبيع الدين ويؤذي رسوله ﷺ. لم يمنعه علمه بالتوراة أن يتكبر، لأن قلبه معلق بالدنيا والسيادة. وهكذا كل من قدّم الدنيا على الحق، يفضحه الله ويقصم ظهره. فهو مثال أن الكفر خيانة عظيمة، وأن نصرة الباطل على الحق بيع خاسر.

الفصل الثالث: الذي غل من الغنيمة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً، إِلَّا الْأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالْمَتَاعَ، فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي الضَّبِيبِ، يُقَالُ لَهُ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ، لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا، يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي الْقُرَى، حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى، بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحْطُّ رَحْلاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَبْنِئًا لَهُ الْجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: شِرَاكٌ مِنْ نَارِ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١)

أَوْ: شَرَاكَانِ مِنْ نَارٍ» (١).

هذا رجل باع دينه بثوب لا يساوي شيئاً، فأحرقه الله به. غلّ من الغنيمة قبل قسمتها، فخان الله ورسوله، وكانت عاقبته النار.

وهو تحذير عظيم أن الدنيا ولو كانت شيئاً يسيراً قد تورد صاحبها موارد الهلاك. وهذا يبين أن الدين لا يُضَحَّى به لأجل مال أو ثوب أو جاه، فمن أخذ شيئاً بغير حقه فقد خان الأمانة، ولو كان يسيراً، فالله لا يرضى بخيانة. وهكذا يتضح أن بيع الدين ليس دائماً بأموال عظيمة، بل ربما يكون بخيط أو شراك أو ثوب، لكنه عند الله عظيم.

الفصل الرابع: الذي غلّ شراكاً

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كَانَ عَلَى ثَقَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كَرْكَرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ فِي النَّارِ». فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَلَيْهِ بُرْدَةً قَدْ غَلَّهَا (٢).

هذا الرجل لم يسرق مالا كثيراً، وإنما غل بردة يسيرة، فكانت سبباً في دخوله النار. وفي هذا أعظم زجر أن خيانة الأمانة ولو كانت صغيرة عظيمة عند الله، فكيف بمن باع دينه بدنياً كثيرة؟! إن الغلول يهدم عمل المرء ويجعله من أهل النار ولو كان ملازماً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظاهر.

فالمعيار هو الصدق والإخلاص، لا القرب من الصالحين.

(١) رواه البخاري (٦٧٠٧) ومسلم (١١٥).

(٢) رواه البخاري (٣٠٧٤).

فليحذر المؤمن أن يبيع آخرته بشارك نعل أو بردة، فإنها عند الله جريمة كبرى.

الفصل الخامس: الذين غلّ في غزوة حنين

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرٍ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: «فُلَانٌ شَهِيدٌ وَفُلَانٌ شَهِيدٌ». حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: «فُلَانٌ شَهِيدٌ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عِبَاءَةً» (١).

الناس ظنوا هذا الرجل شهيداً، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كشف حقيقته، خان في الغنيمة فأحبط الله عمله، وهذا أعظم دليل أن المظاهر لا تغني عن الحقائق، فالشهادة لا تُنال بالغرور ولا بالادعاء، بل بالصدق مع الله.

فباع هذا الرجل دينه بالدنيا، فأحبط جهاده، وصار في النار. إن في هذا إنذاراً أن المرء قد يعمل عمل المجاهدين، ثم تفسده خيانة يسيرة، فكيف بمن جعل حياته كلها خيانة للدين؟!

الفصل السادس: أبو لبابة وربط نفسه في المسجد

عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَبُوكَ... قَالَ: «وَأَمَّا أَبُو لُبَابَةَ، فَرَبَطَ نَفْسَهُ إِلَى سَارِيَةٍ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ، أَوْ أَمُوتُ». فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ (٢).

(١) رواه مسلم (١١٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (٩٧٤٥).

أبو لبابة كاد يبيع دينه حين أشار لبني قريظة إشارة وهذا خطر، لكن سرعان ما تاب، فربط نفسه حتى تاب الله عليه.

هذا يبين أن النفس قد تضعف أمام عرض الدنيا أو خوف الناس، ولكن باب التوبة مفتوح.

وهنا عبرة: أن العاقل إذا زلّ رجع سريعاً قبل أن يكتب عند الله من الخائنين، لقد نجّى الله أبا لبابة بصدقه في التوبة، فصار قصته مثلاً لمن ضعّف ثم رجع، بخلاف من أصرّ على بيع دينه فختم له بالخسران.

الفصل السابع: هوازن يوم حنين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١).

كثير ممن فرّ يوم حنين كانوا يريدون الغنيمة أكثر من نصر الدين، فزلّت أقدامهم حين صدموا بكثرة العدو، فباعوا الموقف بدنيا عاجلة، لكن الله ثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه.

وهذا نموذج خطير يبين أن ضعف الإخلاص وحب المال يُسقط أشد الرجال، ولو صلح القلب لثبتت الأقدام، فالعبرة أن معيار النصر ليس بكثرة العدد، بل بصدق القلوب مع الله.

الفصل الثامن: الذين تركوا الهجرة إلى المدينة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْلَكْتُمْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النساء: ٩٧].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يُخْرِجُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَصَابَتْهُمْ السُّيُوفُ فَقَتَلُوا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ» (١).

هؤلاء آثروا البقاء في مكة طلباً للدنيا والراحة، ولم يهاجروا مع ضعفهم. فكانوا ممن باع الدين بالدنيا، حتى قتلوا في صفوف المشركين، فاستحقوا الوعيد إلا من عُذر بالاستضعاف، من ارتد بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأجل الدنيا

الفصل التاسع: من ارتد بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأجل الدنيا

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَرْتَدُّ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدِي...» (٢).

كثير من العرب ارتدوا بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ليس لأنهم جهلوا الحق، ولكن لأجل الدنيا، رفضوا الزكاة وتمردوا على الشريعة، فقاتلهم أبو بكر حتى أعادهم إلى الدين.

وهؤلاء مثال واضح لمن باع دينه بمال يسير، فارتد عن الإسلام كله، فصاروا عبرة أن

(١) رواه البخاري (٤٥٩٦).

(٢) رواه البخاري (١٢١١) ومسلم (١٨٤٤).

الدنيا قد تردي صاحبها من الإيمان إلى الكفر.

الفصل العاشر: الذين نافقوا مع عبد الله بن أبي

قال الله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٧].

عبد الله بن أبي ومن معه نافقوا طلباً للرئاسة والسيادة، وباعوا دينهم بالكذب والخيانة. أظهروا الإسلام طلباً للجاه، وباطنهم كفر ونفاق. فهم أكمل صورة لمن يبيع دينه بدنيا غيره. فضحهم الله في القرآن، فصاروا مثلاً خالداً أن المنافق لا يهتمه الحق بل مصلحته.

الفصل الحادي عشر: الأسود العنسي - مدعي النبوة في اليمن

أولاً: نص الآية

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ» (١).

والأسود العنسي واحد من هؤلاء الذين أخبر عنهم النبي ﷺ.

ثانياً: ملخص القصة

الأسود العنسي - واسمه عبهلة بن كعب - ظهر في اليمن في أواخر حياة النبي ﷺ، وادّعى النبوة، وتلقّب بـ ذو الخمار لأنه كان يضع على وجهه خماراً. تبعه قومه طمعاً في الدنيا والملك، وكان له سطوة في اليمن حتى أضل كثيراً من الناس. لكن الله قيض له المؤمنين الصادقين من أهل اليمن، فوثبوا عليه وقتلوه في ليلة، وقُضي

(١) رواه مسلم (٢٩٢٣).

على فتنته قبل وفاة النبي ﷺ بقليل، وجاء الخبر بموته إلى المدينة فحمد النبي ﷺ الله على ذلك.

ثالثاً: أقوال أهل العلم

كان الأسود العنسي قد ادعى النبوة باليمن، وأضلّ جمعاً كثيراً، حتى قتله المسلمون على رأس طائفة من أصحابه.

ظهر في أيام النبي ﷺ كذابون، منهم الأسود العنسي باليمن، وكان شأنه أعظم فتنة بعد مسيلمة.

الأنبياء الكذبة قصدهم الملك والدنيا، لا هداية الناس، ولذلك يتبعهم من في قلبه مرض وطمع.

رابعاً: وجه الشاهد

الأسود العنسي أراد الملك والسطوة على اليمن، فباع آخرته بدنياه، وأضلّ أتباعه معه، فصار مثلاً لكل من يتاجر بالدين طلباً للدنيا.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- أن ادعاء النبوة من أعظم صور بيع الدين بالباطل.
- ٢- أن الله يقيم للباطل من يدمغه، ولو بلغ من القوة مبلغاً عظيماً.
- ٣- أن أتباع الكذابين إنما اتبعوهم طمعاً في الدنيا لا تصديقاً بالحق.
- ٤- أن خاتمة الأسود العنسي تدل على أن الله يهلك من كذب عليه وافترى، ولو بعد حين.

الفصل الثاني عشر: أبو طالب - من قدم مكانة قومه على كلمة التوحيد

أولاً: النصوص الواردة فيه

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟» فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى كَانَ آخِرُ مَا قَالَ: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنْكَ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى

مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

ثانياً: ملخص القصة

كان أبو طالب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحوطه ويدافع عنه، ويمنع قريشاً من أذيته، لكنه مع ذلك لم يدخل في الإسلام. ولما حضرته الوفاة، دعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كلمة التوحيد، فأبى خوفاً من عار قومه، وحرصاً على مكانته بينهم، فاختار ملة عبد المطلب على النجاة. فكان موته على الكفر أعظم خسارة، إذ قدم الدنيا على

الدين.

ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين

نزلت في أبي طالب خاصة، حين عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام عند موته، فأبى أن يقبله، واختار دين قومه. فيها بيان أن الهداية بيد الله، وأن النبي ﷺ لا يملكها ولو كان أحب الناس إليه.

أبى أن يقولها استكباراً وحمية، فغلبت عليه العصبية، فاختر الكفر على الإيمان. من قَدَّم رضا الناس وخاف ذمهم على رضا الله فقد سلك سبيل أبي طالب.

رابعاً: وجه الشاهد

أبو طالب كان يعرف صدق النبي ﷺ، ويعلم أن دينه الحق، لكنه أثر مكانته عند قريش على كلمة التوحيد، فباع دينه بدنياه، وخلد الله ذكره في كتابه عبرة للناس.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- أن القرابة من النبي ﷺ لا تنفع بلا إيمان.
- ٢- أن الخوف من كلام الناس قد يصد عن الدين.
- ٣- أن الحمية الجاهلية أخطر ما يفسد على المرء دينه.
- ٤- أن الهداية بيد الله، لا يملكها نبي ولا ولي، وإنما هي توفيق من الله لمن شاء.

الفصل الثالث عشر: العريون - من ارتدوا عن الإسلام طمعاً في الدنيا

أولاً: النصوص الواردة فيهم

عن أنس رضي الله عنه قال: «إِنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةٍ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَوُوا الْمَدِينَةَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا».

فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرُّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ، وَاسْتَأْفَوْا الْإِبِلَ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ. فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَتَى بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ، حَتَّى مَاتُوا» (١)

ثانياً: ملخص القصة

قدم هؤلاء إلى المدينة، فأظهروا الإسلام طلباً للعافية والدنيا، فلما وجدوا الصحة في أبوال الإبل وألبانها، طابت نفوسهم بها. لكنهم لم يلبثوا أن غدروا وقتلوا راعي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسرقوا الإبل، وارتدوا عن الدين. فنزلت فيهم آية الحراة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

ثالثاً: أقوال أهل العلم

في الحديث أن من ارتد بعد الإسلام وقارف جريمة عظيمة كالغدر والقتل، جمع له

(١) رواه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١).

النبي ﷺ بين العقوبتين: حدّ الردة وحدّ الحرابة.

أراد النبي ﷺ أن يُقيم فيهم حكم الله عز وجل ليكونوا عبرة، إذ جمعوا بين الردة والحرابة

هذه القصة سبب نزول آية الحرابة في سورة المائدة.

رابعاً: وجه الشاهد

العرنيون دخلوا الإسلام لا رغبة في الدين، بل لأجل الدنيا والعافية، فلما وجدوا بغيتهم خانوا وغدروا وارتدوا. فكانوا من أوضح الأمثلة على من باع دينه بدنياه.

خامساً: العبرة والعظة

- ١- أن الدخول في الإسلام لا ينفع صاحبه إذا لم يكن عن إخلاص.
- ٢- أن من باع دينه لأجل دنيا يسيرة، خسر في الدنيا والآخرة.
- ٣- أن العذر من أعظم خصال أهل النفاق والردة.
- ٤- أن الله يُقيم الحدود في الدنيا لتكون زجرًا للناس، قبل العقوبة الكبرى في الآخرة.

الفصل الرابع عشر: عبد الله بن خُطَل – الذي ارتد وقتل من قتل

أولاً: النصوص الواردة فيه

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «اقتلوا عبد الله بن خُطَل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صُبابَة، فإنهم كانوا قد أظهروا الإسلام ثم ارتدّوا كفاراً»^(١)

(١) رواه النسائي (٤٠٦٧) وصححه الألباني.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: «ابْنُ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ».

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتُلُوهُ» (١)

ثانيًا: ملخص القصة

كان عبد الله بن خَطَلٍ من قريش، أسلم ثم بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمل مع رجل، فارتكب جريمة فقتل غلامه، وارتد عن الإسلام، وصار يهجو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقريضه ويُغري الناس به.

فلما كان يوم فتح مكة، لجأ إلى أستار الكعبة يستجير بها، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله هناك، مع أن الكعبة أعظم موضع في الإسلام، وذلك لشناعة جريمته، وأنه باع دينه بدينياه وخيائته.

ثالثًا: أقوال أهل العلم

في قصة ابن خَطَلٍ دليل على أن مجرد التعلق بالكعبة لا يعصم من القتل إذا وُجد موجب شرعي.

إنما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله لأنه جمع بين الردة والقتل والاستهزاء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان يهجو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشعره، فلما تعلق بالكعبة أمر النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقتله ولو كان متعلقًا بأستارها.

رابعًا: وجه الشاهد

عبد الله بن خطّال مثال لمن باع دينه بخسة الدنيا، فترك الإسلام بعد أن ذاق حلاوته، وسخر لسانه في حرب الرسول ﷺ، فكانت خاتمته سوءًا: قُتل عند الكعبة، ليكون عبرة لكل مرتد ومنافق.

خامسًا: العبرة والعظة

- ١- أن من ارتد بعد الإسلام وهاجم الدين لا تنفعه حرمة مكان ولا زمان.
- ٢- أن اللجوء إلى الكعبة لا يُغني عن عقوبة الله إذا أصر العبد على الكفر.
- ٣- أن من يبيع دينه بدنياه يخسر الدنيا والآخرة.
- ٤- أن الشعر والقلم إذا وُظفا لمحاربة الحق كانا سلاحًا فتاكًا على صاحبه.

الباب السادس:

شواهد قرآنية عامة على من باعوا الدين بالدنيا

إن القرآن الكريم لم يقف عند ذكر القصص التفصيلية للذين قدّموا دنياهم على دينهم، بل جاء بآيات جامعة تصف طائفة واسعة من البشر الذين ركنوا إلى العاجلة، وآثروا متاعها الفاني على نعيم الآخرة الباقي.

وفي هذه الآيات تذكير متكرر وتنبيه صارم بأن الغفلة عن الآخرة، أو بيع آيات الله بثمن قليل، أو اختيار الشهوة والرياسة على طاعة الله، إنما هو خسران مبین.

من الشواهد:

أهل الدعاء للدنيا دون الآخرة

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ لِكُذِّكُرِهِ أَبَآءَ كُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ الْنَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٠].

هؤلاء جعلوا دعاءهم وقصدهم محصوراً في الدنيا، فخسروا حظوظ الآخرة بالكلية.

مستحبو الدنيا على الآخرة

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة النحل: ١٠٧].

جعلوا ميلهم القلبي إلى الدنيا، فكان ذلك سبباً في حرمانهم من الهداية.

المضطرون في الهوى

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩].

قلوبهم معلقة بالمتاع الأدنى، مع غرور بالاستغفار الكاذب.

الغافلون بالمتاع

قال الله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحجر: ٣].

وصف شامل لكل من استغرق في شهوات الدنيا وأمانيه، ناسياً الآخرة.

المعرضون عن آيات الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [سورة محمد: ١٢].

لخص حقيقتهم: متاع بهيمي في الدنيا، ومصير مؤلم في الآخرة.

الذين يبيعون آيات الله بثمن قليل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْأُخْرَىٰ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٧٧].

شعارهم التضحية بالوعد والعهد لأجل فئات الدنيا.

العبرة الجامعة

هذه الشواهد تكشف أن بيع الدين بالدنيا ليس خاصًا بفرعون أو قارون أو المنافقين، بل هو مرض قلبي يتكرر في كل زمان، ويتلبس بأشكال شتى:

- ١- تارةً في صورة رياسة.
 - ٢- وتارةً في شهوة أو مال.
 - ٣- وتارةً في كِبَر أو غرور.
- فالميزان واحد: من أثر الدنيا الفانية على الدين، خسر الآخرة الباقية.

الباب السابع: صور وأمثلة فيمن باع الدين بثمان مهين بأدلة السنة

إنَّ سنة النبي ﷺ جاءت شارحة للقرآن، مؤكدة لمعانيه، وقد وردت فيها نصوص عظيمة تحذّر من أعظم صور بيع الدين، سواء كان ذلك في الإمامة والرياسة، أو في العلم والتعلم، أو في القضاء والفصل بين الناس، أو غيرها من أبواب الفتن فمن أولئك:

١- أئمة الضلالة

الدنيا دار غرور، ومن جعلها غاية همه أوردته موارد الهلاك، خصوصًا إذا كان في موضع القيادة والتوجيه، فإفساده لا يقف عند نفسه بل يتعدى إلى الأمة.

قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ بَعْدِي أئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُسَمَانِ إِنْسٍ». قِيلَ: «كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟» قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِع» (١).

هذا الحديث من أعظم نصوص التحذير من أئمة الضلالة، إذ هم يبيعون دين الله بعرض الدنيا الرخيص، ويستعملون مناصبهم في الظلم والإفساد. وذكر أن قلوبهم قلوب شياطين، إشارة إلى قسوة قلوبهم وبعدها عن الهداية.

(١) رواه مسلم (١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وفيه تنبيه للأمة على الصبر عند وقوع الفتن وعدم الخروج عن الجماعة، مع بقاء
العداوة لفساد أئمة السوء، وهو تحذير بالغ الدلالة على خطورة جعل الدين مطية للسلطة
والجاء.

وفي الحديث أيضًا دلالة على أن الموازين ليست بالمظاهر، فقد يكون في صورة إنسان
وقلبه شيطان.

وفيه تنبيه للعلماء ألا يبيعوا دينهم بالولاية والسلطان.
وفيه أن البلاء العام إذا وقع لا يسلم منه إلا من تمسك بدينه وصبر لله.

١- طلب العلم لغير الله

العلم عبادة، ولا يقبل إلا بنية صادقة، ومن طلبه ليماري أو يجاري أو ليصرف به وجوه
الناس إليه فقد خاب.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا
يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيَصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وهذا وعيد عظيم يبين أن العلم الذي يطلب للدنيا لا ينفع صاحبه، بل يكون حجة
عليه.

والعرف: ريحها.

وفيه أن طالب العلم عليه أن يفتش قلبه دائمًا، فيصحح نيته، فإن دخلها رياء أو طلب
دنيا، صار علمه وبالاً عليه.

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٣- من فتن بالمال والشرف

من جعل الدنيا غايته أهلكته، سواء بالمال أو بالجاه، إذ هما سبب كثير من الفتن.
قال رسول الله ﷺ: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بَأْفُسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» (١).

هذا الحديث من أبلغ الأمثال والتشبهات، إذ شبه الحريص على الدنيا بذئبين جائعين يفسدان الغنم، إشارة إلى أن فساد الدين بالحرص على المال والجاه أعظم.

٤- من غبن فباع الدين بعرض قليل

الدنيا مهما عظمت فهي قليلة عند الله، فلا يجوز أن تجعل ثمنًا للدين.
قال رسول الله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (٢).

وهذا الحديث يرسم صورة عجيبة للفتن وسرعة تقلب القلوب، وأن من الناس من يبيع دينه بثمان بخس من الدنيا.

٥- التهافت على الدنيا بتعطش

من انشغل بالدنيا وزخارفها ترك ما ينفعه عند الله.
قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوا، وَتَهْلِكُكُمْ كَمَا

(١) رواه الترمذي (٢٣٧٦) عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه مسلم (١١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَهْلَكْتَهُمْ» (١).

وفيه أن أخطر ما يُخشى على الأمة حب الدنيا والتنافس فيها، فهو سبب هلاك من قبلهم.

٦- المرائي من طلاب العلم

من طلب العلم ليقال عالم، فهو من أول من تسعر بهم النار.
قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: «فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟» قَالَ: «قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ». قَالَ: «كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِكَيْ يُقَالَ جَرِيءٌ»، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ...» (٢).

وهذا وعيد شديد أن العلم بلا إخلاص مردود، وصاحبه أول من يُسعر به النار.

٧- العالم الداعي للبدع

العالم إذا فسد، ضل بسببه كثيرون.
قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ» (٣).

وفيه أن المضلل المبتدع يأثم بذنبه وذنوب من اتبعه.

(١) رواه البخاري (٣١٥٨) عن عمرو بن عوف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه مسلم (١٩٠٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٨- من يبيع الدين بملك زائل

الملك إن لم يكن لله، صار سبباً لهلاك صاحبه.
قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ» (١).
وفيه بيان أن الدنيا فتنة، فلا يجوز أن تتخذ سبباً لبيع الدين.

٩- اتباع علماء السوء والضلال

من أخطر الفتن اتباع علماء السوء.
قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ اللِّسَانِ» (٢).

وفيه أن العالم الفاسد منافق، يتزين باللسان ويضل الناس.

١٠- أصحاب القتل والقتال والفتن

فتن الدنيا تقلب الموازين حتى يقتل الرجل أخاه بغير سبب ديني.
قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلٌ عَظِيمٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ» (٣).
وفيه أن الفتن تحمل الناس على القتال من أجل الدنيا والجاه.

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه أحمد (٢٢٢٦٥) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) رواه البخاري (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❦ - الجهال بدين الله

العامّة تبع لعلمائها، فإذا فسدوا فسدوا.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (١).

وفيه أن مصيبة الأمة العظمى في فقد علمائها، فإذا تصدر الجهال أضلوا الأمة.

❦ - من اغترب بهارج الدنيا

من فتن آخر الزمان التوسع في الزينة والتفاخر.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زَخِرْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَحَلَيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالْدَّمَارُ عَلَيْكُمْ» (٢).

وفيه دلالة على أن الانشغال بالمظاهر علامة على قرب الهلاك.

❦ - الانغماس في طلب المال

الانغماس في المال يصرف القلب عن الدين.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ» (٣).

وفيه أن المال هو البلاء الأعظم الذي يفتن به المسلمون.

(١) رواه البخاري (١٠٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٣٨٧٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) رواه الترمذي (٢٣٣٦) عن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١٤- من ابتعد عن مجالس الذكر والطاعة

الدنيا ليست دار قرار، ومن اتخذها غاية أهلكته.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا» (١).

فالحديث يبين حقارة الدنيا إلا ما كان لله، وأن الباقي كله ملعون.

١٥- من يضيع الأمانة

من أمارات الساعة ضياع الأمانة حين تُجعل في غير أهلها.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قيل: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قال: «إِذَا وَسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (٢).

وهذا يبين أن فساد الولايات من أعظم أسباب الهلاك.

١٦- المعجب بنفسه المتبع لهواه

إذا صار الهوى قائدًا هلك الناس.

قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ» (٣).

وفيه بيان أن اتباع الهوى يصد عن الحق ويهلك صاحبه.

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه البخاري (٥٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) رواه الطبراني (١٦٤٧) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

١٧- الواقع في الخيانة البعيد عن الأمانة

من علامات الانحطاط ظهور الخيانة وغياب الأمانة.

قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَةٌ خَدَاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ». قِيلَ: «وَمَا الرُّوَيْضَةُ؟» قَالَ: «الرَّجُلُ النَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» (١).

وهذا من أعظم صور الفتن في المجتمعات.

١٨- ولاية الجاهل

إذا ولي الأمر الجاهل، ضاع الدين والدنيا.

قال رسول الله ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سُنُونُ خَدَاعَاتٍ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ». قِيلَ: «وَمَا الرُّوَيْضَةُ؟» قَالَ: «الرَّجُلُ النَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» (٢).

وهذا نص على فساد السياسة والولاية في آخر الزمان.

١٩- الغارق في الفتن الغير مبالي بدينه المسترسل في المعاصي

شدة الفتن تذهب العقول وتعمي الأبصار.

قال رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا،

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٣٦) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه أحمد (٧٨٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتُهُ سَوْدَاءٌ...» (١).

وهذا من أوضح الأدلة على أثر الفتن في فساد القلوب.

❦ - المفتون بالنساء الذي ليس له شغل إلاهن

أعظم فتنة على الرجال النساء، وهن سبب هلاك كثير من الأمم.

قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (٢).

وفيه تحذير بالغ من الغفلة عن هذه الفتنة العظيمة.

❦ - الكاسيات العاريات

من أمارات الانحراف أن تخرج النساء متبرجات متفاخرات.

قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» (٣).

وهذا نص في خطورة التبرج وأنه سبب للحرمان من الجنة.

(١) رواه مسلم (١٤٤) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦) عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(٣) رواه مسلم (٢١٢٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٢- أصحاب الزخرفات للمساجد

المبالغة في الزخرفة علامة على الغفلة والتنافس في الدنيا.
قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ» (١).

وفيه أن انشغال الناس بالمباني علامة على فساد القلوب.

٢٣- من يضيع الصلوات

من صور بيع الدين بالدنيا ترك الصلاة والركون للشهوات.
قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ، فَهِيَ لَكُمْ مَعَهُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ» (٢).
وفيه أن الصلاة تضيع مع تسلط أهل الدنيا.

٢٤- المرائي وطالب السمعة

طلب السمعة يحبط العمل ويهلك صاحبه.
قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ». قَالُوا: «وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: «الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَنَظَرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ

(١) رواه أبو داود (٤٤٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه البخاري (٦٩٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

جَزَاءً؟» (١).

وفيه أن العمل بلا إخلاص لا ينفع صاحبه.

❦ - من يريد بطلب العلم الدنيا

من أخطر ما يفتك بالدعوة أن يُطلب العلم لغير الله.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وفيه وعيد شديد على من يجعل العلم وسيلة للجاه أو المال.

❦ - طلب الرياسة في الدين

من ابتغى الرياسة بالدين أهلكه الله.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ» (٣).

وفيه أن طلب الرياسة بالدين يفسد العلم والدعوة.

❦ - من كتم العلم:

كتمان العلم خيانة وأكل للحرام.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ

(١) رواه أحمد (٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه أبو داود (٣٦٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) رواه الترمذي (٢٦٥٤) عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مِنْ نَارٍ» (١).

وفيه أن كتمان العلم لأجل دنيا أو رشوة من كبائر الذنوب.

❦ - من أفتى بغير علم

الفتوى بغير علم من أعظم صور بيع الدين بالدنيا.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ» (٢).

وفيه أن القول على الله بغير علم جريمة عظيمة.

❦ - من جاهد في سبيل الله ليقال عنه

من قاتل للدنيا لم يقبل الله منه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ

كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).

وفيه أن العمل لا يقبل إلا إذا كان لله وحده.

❦ - من جعل الدين وسيلة للمال

ومن هذا حاله أهلك نفسه.

قال رسول الله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ

الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (٤).

(١) رواه أبو داود (٣٦٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٧) وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١ / ٨١): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) رواه البخاري (٢٨١٠) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤) رواه مسلم (١١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهذا غاية ما ينطبق على من باع دينه بدنياه أو بدنياه غيره.

الباب الثامن: في الثبات على الدين ومجاهدة النفس

الثبات على الدين أصل النجاة، وجهاد النفس سبيل الاستقامة، فإن العلم النافع إن لم يثمر عملاً صالحاً وثباتاً عند الفتن، كان حجة على صاحبه، وصار وبألاً بدل أن يكون سبباً للرفعة. والنفس مجبولة على الميل إلى الشهوات وحب الراحة، ولا يقهر سلطانها إلا بجهد دائم وصبر جميل، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومناسبة هذا الباب في هذا الكتاب أنه جاء بعد أبواب التحذير من بيع الدين بالدنيا، وبيان مكر أئمة الضلالة، وخطورة الركون إلى الدنيا وزينتها؛ فكأن القارئ بعد أن رأى صور الانحراف والخذلان، ووقف على عاقبة من باع آخرته بدنياه، صار محتاجاً إلى زاد يعينه على الثبات، ودستور يرشده إلى كيفية جهاد النفس والهوى والشيطان. فكان هذا الباب كالتاج الذي يُتمّ ما قبله، والدواء الذي يُعالج به الداء، حتى يسلك المؤمن سبيل الثبات على الحق، ويجاهد نفسه على الطاعة، فلا يكون كمن علم ثم ضل، أو اهتدى ثم انتكس.

ولهذا خُتمت الأبواب الخمسة الماضية بهذا الباب الجامع؛ إذ هو ميزان العمل بعد العلم، والوقاية من الانحراف بعد البيان، فهو باب يربط بين النظرية والتطبيق، ويُبين أن الهداية لا تتم إلا بثلاثة: علم صحيح، وعمل صالح، وثبات على الطريق حتى الممات. إن الدين ليس كلمات تُقال، ولا دعوى تُرفع، وإنما هو صبرٌ وثبات، وجهادٌ للنفس

والهوى، واعتصامٌ بالوحيين عند اضطراب الأهواء.

ولما كان العبد محاطاً بالفتن، ظاهرها وباطنها، كان من أعظم ما يحتاجه بعد العلم: أن يُرزق الثبات على الحق، حتى يلقي الله وهو متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. وقد دلّ القرآن والسنة على أن أشد ما يبتلى به المؤمن في آخر الزمان غربة الدين، وكثرة الدعاة على أبواب جهنم، وأنه لا نجاة إلا لمن ثبت على الصراط، وصبر لله، وصدق في مجاهدة نفسه.

ومن هنا كان هذا الباب جامعاً بين فضيلة الثبات، وبيان طرقه، ووسائل النجاة من الفتن، حتى يكون المؤمن على بصيرة من أمره، فلا تزل به القدم، ولا ينحرف به الطريق. وسيأتي في فصوله بيان فضل الثبات على الحق، والصبر على الفتن، ومراتب جهاد النفس، والاعتصام بالكتاب والسنة، وأثر الدعاء والتوكل على الله في تثبيت القلوب، وكلها مسائل يحتاجها المؤمن في زمن الغربة والابتلاء، ليكون ثابتاً كالجبال، صابراً محتسباً، لا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

وإليك بعض تلك الأسباب المعينة على الثبات على هذا الدين:

السبب الأول: الثبات على الحق

الثبات على الحق هو نعمة كبرى من الله، وسبب النجاة في الدنيا والآخرة، وهو ثمرة الهداية والاستقامة، فمن ثبت على طاعة الله عصمه الله من الزلل وحفظه من الفتن، كما قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:

السبب الثاني: الاستقامة ولزوم الصراط المستقيم

الاستقامة هي لب الدين، وهي لزوم الصراط المستقيم بلا ميل ولا انحراف، وقد أوصى النبي ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سُفْيَانَ فَقَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم» (١)

السبب الثالث: الصبر على الفتن

الفتن إذا أقبلت عمّت القلوب، ولا ينجو منها إلا من صبر لله، وعص على دينه بالنواجذ، قال ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا...» (٢)

السبب الرابع: الصبر على البلاء والشدائد

البلاء سنة ماضية، وهو محك يميز به الصادق من الكاذب، والثابت من الناقص، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥].

السبب الخامس: جهاد النفس ومحاسبتها

النفس أمانة بالسوء إلا ما رحم ربي، ولا يصلحها إلا جهاد متواصل ومحاسبة دقيقة. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا».

السبب السادس: لزوم الجماعة ونبذ الفرقة

الثبات لا يتحقق إلا بالاعتصام بالجماعة ونبذ الفرقة، قال ﷺ: «مَنْ

(١) رواه مسلم حديث رقم (٣٨).

(٢) رواه مسلم (١١٨). صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث (٩٧٩).

فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً» (١)

السبب السابع: الاعتصام بالكتاب والسنة

لا نجاة من الفتن ولا ثبات عند الزلل إلا بالرجوع إلى الوحيين، قال
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي» (٢)

السبب الثامن: الحذر من الهوى والزيغ

الهوى يورد المهالك ويصرف القلب عن الهدى، والزيغ بداية الضلال، قال تعالى:
﴿قَالُوا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

السبب التاسع: الدعاء بالثبوت واليقين

من أسباب الثبات دعاء الله، وكان من أكثر دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ
الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (٣)

السبب العاشر: التوكل على الله والتفويض إليه

من توكل على الله كفاه، ومن فوض أمره إلى مولاه ثبته على الصراط. قال تعالى:
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

السبب الحادي عشر: الإخلاص سبب الثبات

الإخلاص لله يصون العمل من الضياع، ويثبت القلب عند الزلل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ

(١) رواه البخاري (٧٠٥٤) ومسلم (١٨٤٩). صحيحه الألباني في «صحيح الجامع» حديث (٦٣٦٦).

(٢) رواه الحاكم (٩٣/١). صحيحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث (١٧٦١).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٢٢) عن أنس. صحيحه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٩٢).

أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٦].

السبب الثاني عشر: القدوة الصالحة وأثرها في الثبات

رؤية المتمسكين بدينهم تقوي العزائم، وقراءة قصصهم فقد جعل الله في قصص الأنبياء عبرة للمؤمنين: ﴿وَكَلَّا نَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِيُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

السبب الثالث عشر: المداومة على الطاعات وحسن العبادات

أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، فهي التي تزكي النفس وتغرس الثبات. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (١)

السبب الرابع عشر: التفكير في الآخرة وزهد الدنيا

من جعل الآخرة نصب عينيه ثبت قلبه، ومن ركن إلى الدنيا زل قدمه. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (٢)

السبب الخامس عشر كثرة ذكر الله وأثره في التثبيت

الذكر حياة القلوب وسبب لطمأنيتها وثباتها عند المحن، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِثْلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مِثْلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (٣)

(١) رواه البخاري (٦٤٦٥) ومسلم (٧٨٣). صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٣١).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦) عن ابن عمر. صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث (٣٩٠).

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٧) ومسلم (٧٧٩). صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٢٩).

السبب السادس عشر طلب العلم الشرعي والبصيرة فيه

العلم نور يبدد الشبهات، وهو من أعظم أسباب الثبات، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]. وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (١)

السبب السابع عشر الصدق مع الله ومع النفس

الصدق قرين الثبات، ومن صدق مع الله ثبتته الله، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]. وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ» (٢)

السبب الثامن عشر الإكثار من تلاوة القرآن وتدبره

القرآن هو كتاب الثبات واليقين، به تشرح الصدور وتطمئن القلوب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

السبب التاسع عشر قيام الليل والالتجاء إلى الله

الليل وقت الصفاء والخلو، وهو من أعظم ما يقوّي الإيمان ويثبّت القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [سورة المزمل: ٦]. وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فَضْلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» (٣)

(١) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) رواه مسلم (١١٦٣).

السبب العشرون صحبة الأخيار وترك بطانة السوء

الصاحب يؤثر في صاحبه، ومن جالس الأخيار ثبت، ومن جالس الأشرار زلّ، قال
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ» (١)

السبب الحادي والعشرون اليقين في وعد الله والرضا بقضائه

من امتلأ قلبه يقيناً بوعد الله لم يترزعزع أمام البلاء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ
النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (٢)

السبب الثاني والعشرون التدرج في الطاعات وعدم الاستعجال

الثبات يتحقق بالتدرج والرفق، لا بالعجلة والانقطاع، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ
هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا» (٣)

السبب الثالث والعشرون ترك التساهل في المعاصي

المعاصي تضعف القلب وتزلزل الإيمان، والنجاة منها سبب للثبات، قال تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٠].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ» (٤)

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨). صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٠٤٦).

(٢) رواه أحمد (٢٨٠٣). صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

(٣) رواه البخاري (٣٩).

(٤) رواه أحمد (١٨٥٥٥). صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٣٥).

السبب الرابع والعشرون الحياء من الله ومراقبته

الحياء من الله يمنع من المعصية، والمراقبة تورث الثبات، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**:
«اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». قُلْنَا: **«إِنَّا نَسْتَحْيِي يَا رَسُولَ اللَّهِ»**. قَالَ: **«لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ**
الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَذْكُرَ الْمَوْتَ
وَالْبَلَى» (١)

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨). صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٩٢٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنال الخيرات والبركات.

هذا ما يسره الله من جمع وتنبيه في باب خطير عظيم: «بيع الدين بثمان مهين»، وهو داء قديم جديد، ما نجا منه إلا من ثبتّه الله، وما وقع فيه أحد إلا خسر ديناه وأخراه.

فكم من غنيّ باع آخرته بدرهم أو دينار، وكم من فقير ضيّع صلاته لأجل لقمة أو لعاعة، وكم من حاكمٍ أو محكوم، وعالمٍ أو عامي، فتته الهوى أو أعمته الدنيا حتى قدّم الفاني على الباقي، فكانت العاقبة خسرانًا مبيّنًا.

أيها المؤمن، إن دينك هو رأس مالك، لا يعوّضه مال ولا سلطان، ولا يبدله جاه ولا مكانة، فإياك أن تضيّعه لأجل دنيا زائلة، أو متاع فانٍ لا يبقى، تذكر أن الموت قريب، وأن القبر أول منازل الآخرة، وأن الحساب آتٍ لا محالة، وأن الحسرة يوم القيامة لا دواء لها إلا الثبات قبل الفوت.

فتزوّد من دنياك لآخرتك، واحرص على ما ينفعك عند ربك، وارض بالقليل الحلال، فإنه خير لك من الكثير الحرام، واعلم أن من باع دينه خسر نفسه، ومن خسر نفسه لم يجد لها عوضًا، ولو بذل الدنيا بما فيها.

فاللهم اجعل قلوبنا عامرةً بالإيمان، ونفوسنا مطمئنة بالرضا، وأعمالنا صالحة خالصة لوجهك، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا.

هذا ما انتهى إليه القلم، وما وفق الله إلى جمعه، والكمال لله وحده، والعصمة لأبيائه،

والتوفيق لمن شاء من عباده. وأسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه، ويجعله تذكراً لكل مؤمن،
وحجةً على من فرط وغفل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
كتبه أبو المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع بن غالب الوريقي الحوباني

المحتويات

مقدمة شيخنا العلامة	٤
يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى	٤
مقدمته الخطية	٥
مقدمة المؤلف حفظه الله تعالى	٦
الباب الأول:	١١
تعظيم الدين وتقديره على النفس والمال والولد والدنيا كلها	١١
تمهيد:	١١
الفصل الأول: الآيات من القرآن التي تدل على أهمية تعظيم الدين وتقديره على كل شيء	١٢
أخيراً:	١٧
الباب الثاني:	١٩
ذم الدنيا في القرآن والتحذير من الاغترار بها	١٩
الذم الأول: الدنيا دار غرور	١٩
الذم الثاني: تقلب الدنيا على طالبيها	٢٠
الذم الثالث: إثارة الجهال العاجل على الآجل	٢٠

- الذم الرابع: ظن الجاهل أنه تمكن من الدنيا ٢٠
- الذم الخامس: كل متاع ولذة في الدنيا لهو ولعب ٢١
- الذم السادس: افتتان قلوب طالبيها عليها ٢١
- الذم السابع: من أثرها على الدين خاب وخسر ٢١
- الذم الثامن: من المحال بقاء الدنيا على من توصل إلى لذتها ٢١
- الذم التاسع: من جعل الدنيا همه شئت الله عليه شمله وذمه ٢٢
- الذم العاشر: المغتر بالدنيا ينسى الآخرة ومآلها ٢٢
- الذم الحادي عشر: من أثر الدنيا على الدين حرم النظر إلى وجه ربه الكريم ٢٢
- الذم الثاني عشر: كل متاع الدنيا بهرج للعيون والقلوب ثم مآله إلى الزوال ٢٢
- الذم الثالث عشر: الدنيا كالظل يزول سريعًا ٢٣
- الذم الرابع عشر: برح من جعل الدنيا وسيلة للآخرة ٢٣
- الذم الخامس عشر: من جعل الدنيا غاية غفل عن مصيره ٢٣
- الذم السادس عشر: من علم الدنيا على حقيقتها لم ينخدع بها ٢٤
- الذم السابع عشر: من وصل إلى الدنيا وظن أنه على شيء فهو إلى الهلاك ٢٤
- الذم الثامن عشر: الفرق بين المغتر بالدنيا والفار منها ٢٤

- الذم التاسع عشر: من انشغل بالدنيا نسي آخرته ٢٤
- الذم العشرون: الدنيا دار محنة لما بعدها ٢٤
- الذم الحادي والعشرون: الدنيا لا حقيقة لها ٢٥
- الذم الثاني والعشرون: حال من يبيع دينه بدنياه غيره ٢٥
- الذم الثالث والعشرون: التعلق بالدنيا سبب الخسران المبين ٢٥
- الذم الرابع والعشرون: الذي يبيع دينه بمتاع الدنيا كالذي يبيع الذهب بالطين الخزف ٢٥
- الذم الخامس والعشرون: الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر ٢٦
- الذم السادس والعشرون: من استحب الدنيا على الآخرة خسر الدنيا والآخرة ٢٦
- الذم السابع والعشرون: التعلق بالدنيا يفسد القلب ويورث الغفلة ٢٦
- الذم الثامن والعشرون: ما عند الله خير وأبقى لمن عقل الأمر وتفهم ٢٦
- الذم التاسع والعشرون: أبين وأوضح خسارة من باع الدين بالدنيا ٢٦
- الذم الثلاثون: الدنيا عرض والآخرة غرض ٢٧
- الذم الحادي والثلاثون: من جعل الدنيا دار خلود يأتيه الموت ولم ينل منها إلا الموعود ٢٧
- الذم الثاني والثلاثون: المؤمن يؤثر الباقي على الفاني ٢٧
- الذم الثالث والثلاثون: المنشغل بالدنيا لا ينتفع بعلم ولا ذكر ٢٧

الدم الرابع والثلاثون: الآخرة هي دار القرار، والدنيا دار مرار	٢٧
الدم الخامس والثلاثون: الدنيا جليس سوء تبعدك عن ربك	٢٨
الدم السادس والثلاثون: لا دوام للدنيا وإن زينت أو زخرفت	٢٨
الدم السابع والثلاثون: لا يجتمع ذكر الدنيا وذكر الله في قلب رجل إلا من رحم الله .	٢٨
الدم الثامن والثلاثون: الدنيا محطة اختبار الناس وابتلاؤهم	٢٨
الدم التاسع والثلاثون: من شغله جمع الدنيا نسي جمع الآخرة	٢٩
الدم الأربعون: من جعل الوصول إلى الدنيا كرامة فهو في استدراج ومهانة	٢٩
الدم الحادي والأربعون: الدنيا لا تغني عن الآخرة شيئاً	٢٩
الدم الثاني والأربعون: من طال عمره وغره أمله فقد خسر	٢٩
الدم الثالث والأربعون: من علم أن الدنيا وإن عظمت حقيرة وإن طالت قصيرة فهو مؤمن	٢٩

الباب الثالث: ٣١

دم الدنيا في السنة والتحذير من الاغترار بها ٣١

الدم الأول: الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ليست موضع نعيم مقيم، وإنما دار عمل وزرع للحصاد في الآخرة.	٣١
---	----

الدم الثاني: الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما حسنت فهي حقيرة، لا تساوي عند الله

- شيئًا. ٣٢.....
- الدم الثالث: الدنيا فتنة، وزيتها خداعة، يظنها المرء بقاءً فإذا هي فناء وزوال. ٣٢.....
- الدم الرابع: الدنيا لا تساوي شيئاً أمام الآخرة، فلا ينبغي للعاقل أن يبيع الباقي بالفاني. ٣٢.....
- الدم الخامس: الدنيا متاع قليل، والعبد لا يأخذ منها إلا ما قسم الله له، فلا يغتر بكثرتها. ٣٢.....
- الدم السادس: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. ٣٣.....
- الدم السابع: الدنيا ظل زائل، لا يركن إليها إلا مغرور. ٣٣.....
- الدم الثامن: الدنيا ملعونة بزخارفها، إلا ما كان لله فيها. ٣٣.....
- الدم التاسع: الدنيا دار عمل لا حساب، والآخرة دار حساب لا عمل. ٣٣.....
- الدم العاشر: الدنيا ممرٌ لا مقرٌ، والعمل فيها هو الزاد الباقي. ٣٤.....
- الدم الحادي عشر: الدنيا لا خير فيها إلا ذكر الله. ٣٤.....
- الدم الثاني عشر: الدنيا لا تدوم لأحد، ومن اطمأن إليها فقد غُرّ. ٣٤.....
- الدم الثالث عشر: الدنيا دار الغافلين، والآخرة دار الموقنين. ٣٤.....
- الدم الرابع عشر: الدنيا وزيتها لا تعادل ركعتين في سبيل الله. ٣٥.....
- الدم الخامس عشر: الدنيا كلها متاع، وأفضل ما فيها ما يعين على الدين. ٣٥.....
- الدم السادس عشر: الدنيا دار الفتنة، فلا ينبغي للمؤمن أن يطمئن إليها. ٣٥.....

- الدم السابع عشر: الدنيا مهما كثرت أموالها فهي ترك للوارث. ٣٥
- الدم الثامن عشر: الدنيا تلهي عن الآخرة إلا من وفقه الله. ٣٦
- الدم التاسع عشر: الدنيا جيفة وطلابها كلاب، كما قال بعض السلف. ٣٦
- الدم العشرون: الدنيا غرور وغفلة. ٣٦
- الدم الحادي والعشرون: الدنيا ليست بدار راحة. ٣٦
- الدم الثاني والعشرون: الدنيا تلهي وتُنسي، إلا من اتخذها وسيلة للآخرة. ٣٧
- الدم الثالث والعشرون: الدنيا لا تغني عند الله شيئاً. ٣٧
- الدم الرابع والعشرون: الدنيا ظل زائل. ٣٧
- الدم الخامس والعشرون: الدنيا خدعة مأكرة. ٣٧
- الدم السادس والعشرون: الدنيا وإن أعجبت فهي غرور. ٣٧
- الدم السابع والعشرون: الدنيا دار الغفلة، من ركن إليها ضاع عمره سُدى. ٣٨
- الدم الثامن والعشرون: الدنيا دار فناء لا بقاء، لا يُغني فيها مال ولا جاه. ٣٨
- الدم التاسع والعشرون: الدنيا مهما أعطت فهي ناقصة، ولا يشبع ابن آدم منها. ٣٨
- الدم الثلاثون: الدنيا إن زُحرفت ألهمت وأفسدت القلوب. ٣٨
- الدم الحادي والثلاثون: الدنيا متاع قليل، والزهد فيها رفعة. ٣٩

- الذم الثاني والثلاثون: الدنيا دار ممر لا مقر، فخير الزاد فيها التقوى. ٣٩
- الذم الثالث والثلاثون: الدنيا تلهي بزخرفها، والآخرة خير وأبقى. ٣٩
- الذم الرابع والثلاثون: الدنيا سريعة الزوال، والنعيم فيها غير مأمون. ٣٩
- الذم الخامس والثلاثون: الدنيا غرور وزينة، ومن قارنها بالآخرة عرف حقيقتها. ٣٩
- الذم السادس والثلاثون: الدنيا مهما زُخرفت فهي هينة عند الله. ٤٠
- الذم السابع والثلاثون: الدنيا كظّل يزول سريعاً. ٤٠
- الذم الثامن والثلاثون: الدنيا دار الهموم والأحزان. ٤٠
- الذم التاسع والثلاثون: الدنيا دار الغفلة والابتلاء، واليقظة في الآخرة. ٤٠
- الذم الأربعون: الدنيا حلوة لكنها مهلكة إذا لم تضبط. ٤١
- الذم الحادي والأربعون: الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء. ٤١
- الذم الثاني والأربعون: الدنيا غرور، لا يبقى معها شيء إلا العمل الصالح. ٤١
- الذم الثالث والأربعون: الدنيا غدارة، لا تُعطي إلا لتسلب. ٤١
- الذم الرابع والأربعون: الدنيا غفلة لمن لم يتزود. ٤١
- الذم الخامس والأربعون: الدنيا لعب ولهو. ٤٢
- الذم السادس والأربعون: الدنيا دار غرور، من ركن إليها ضاع. ٤٢

- الدم السابع والأربعون: الدنيا قصيرة الأمل، والموت يقطع على أهلها أمانهم. ٤٢
- الدم الثامن والأربعون: الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً لو كانت تزن مثقالاً. ٤٢
- الدم التاسع والأربعون: الدنيا دار غرور، تُزين للغافلين وتُلهيهم. ٤٣
- الدم الخمسون: الدنيا مهما كثرت لا تنفع إلا بما قُدِّم للآخرة. ٤٣
- الدم الحادي والخمسون: الدنيا تُلهي بشهواتها ثم تنقلب حسرة. ٤٣
- الدم الثاني والخمسون: الدنيا يركض وراءها الناس ولا يحصلون منها إلا ما كُتب لهم. ٤٤
- الدم الثالث والخمسون: الدنيا فانية، وما عند الله هو الباقي. ٤٤
- الدم الرابع والخمسون: الدنيا إذا فُتحت على الناس أفسدت قلوبهم. ٤٤
- الدم الخامس والخمسون: الدنيا لا تغني شيئاً يوم القيامة. ٤٤
- الدم السادس والخمسون: الدنيا مهما جمعتها فلن ترافقك إلا إلى القبر. ٤٥
- الدم السابع والخمسون: الدنيا دار عمل، فمن شغلته عنها الآخرة خسر. ٤٥
- الدم الثامن والخمسون: الدنيا دار امتحان، والآخرة دار جزاء. ٤٥
- الدم التاسع والخمسون: الدنيا تخدع المغترين. ٤٥
- الدم الستون: الدنيا لا قيمة لها عند الله. ٤٦
- الدم الحادي والستون: الدنيا زائلة، والآخرة باقية. ٤٦

الذم الثاني والستون: الدنيا شهوة عابرة. ٤٦.....

الذم الثالث والستون: الدنيا دار فتنة. ٤٦.....

الذم الرابع والستون: الدنيا مهما أخذت منها لا تدوم. ٤٧.....

الذم الخامس والستون: الدنيا لا تغني عند الله شيئاً إلا العمل الصالح. ٤٧.....

الباب الثالث: ٤٨.....

الآيات العامة في القرآن التي تتحدث عن بيع الدين بالدين ٤٨.....

ومن تلك الآيات الجامعة: ٤٨.....

الآية الأولى: ٤٨.....

الآية الثانية: ٤٩.....

الآية الثالثة: ٤٩.....

الآية الرابعة: ٤٩.....

الآية الخامسة ٥٠.....

الآية السادسة: ٥٠.....

الآية السابعة: ٥٠.....

الخلاصة ٥١.....

الباب الرابع: ٥٢.....

نماذج من القرآن ممن باع الدين بثمان مهين	٥٢
الفصل الأول: بلعم بن باعوراء العالم الذي باع آيات الله	٥٤
أولاً: نص الآية	٥٤
ثانياً: ملخص القصة	٥٤
ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين	٥٤
رابعاً: وجه الشاهد	٥٥
خامساً: العبرة والعظة	٥٥
الفصل الثاني: السامري صانع الفتنة	٥٥
أولاً: نص الآية	٥٥
ثانياً: ملخص القصة:	٥٦
ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين	٥٦
رابعاً: وجه الشاهد	٥٧
خامساً: العبرة والعظة	٥٧
الفصل الثالث: قارون الذي بطر بالمال	٥٧
أولاً: نص الآية	٥٧
ثانياً: ملخص القصة	٥٨

- ٥٨..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٥٩..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٥٩..... خامسًا: العبرة والعظة
- ٥٩..... الفصل الرابع: فرعون الذي آثر الرياسة والملك والجاه والمال على الحق
- ٥٩..... أولاً: نص الآية
- ٦٠..... ثانيًا: ملخص القصة
- ٦٠..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٦٠..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٦١..... خامسًا: العبرة والعظة
- ٦١..... الفصل الخامس: المنافقون الذين باعوا الدين خوفاً أو طمعاً
- ٦١..... أولاً: نص الآية
- ٦١..... ثانيًا: ملخص أخبارهم
- ٦٢..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٦٢..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٦٢..... خامسًا: العبرة والعظة

٦٣	الفصل السادس: أصحاب السبت الذين احتالوا على شرع الله
٦٣	أولاً: نص الآية
٦٣	ثانياً: ملخص القصة
٦٣	ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين
٦٤	رابعاً: وجه الشاهد
٦٤	خامساً: العبرة والعظة
٦٤	الفصل السابع: أهل الكتاب الذين كتموا الحق بالرشوة
٦٤	أولاً: نص الآية
٦٤	ثانياً: ملخص القصة
٦٥	ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين
٦٥	رابعاً: وجه الشاهد
٦٥	خامساً: العبرة والعظة
٦٥	الفصل الثامن: أصحاب الأخدود الذين فضّلوا الملك على الإيمان
٦٥	أولاً: نص الآية
٦٥	ثانياً: ملخص القصة

- ٦٦..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٦٦..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٦٦..... خامسًا: العبرة والعظة
- ٦٦..... الفصل التاسع: مشركو مكة – الذين آثروا الرياسة على اتباع الحق
- ٦٦..... أولاً: نص الآية
- ٦٦..... ثانيًا: ملخص القصة
- ٦٧..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٦٧..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٦٧..... خامسًا: العبرة والعظة
- ٦٧..... الفصل العاشر: أصحاب طالوت الذين شربوا من النهر
- ٦٧..... أولاً: نص الآية
- ٦٧..... ثانيًا: ملخص القصة
- ٦٨..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٦٨..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٦٨..... خامسًا: العبرة

٦٨.....	الفصل الحادي عشر: أصحاب القرية المكذبون للمرسلين
٦٨.....	أولاً: نص الآية
٦٨.....	ثانياً: ملخص القصة
٦٨.....	ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين
٦٩.....	رابعاً: وجه الشاهد
٦٩.....	خامساً: العبرة
٦٩.....	الفصل الثاني عشر: قوم لوط الذين باعوا الفطرة
٦٩.....	أولاً: نص الآية
٦٩.....	ثانياً: ملخص القصة
٦٩.....	ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين
٧٠.....	رابعاً: وجه الشاهد
٧٠.....	خامساً: العبرة
٧٠.....	الفصل الثالث عشر: أصحاب الجنة الذي بخلوا
٧٠.....	أولاً: نص الآية
٧٠.....	ثانياً: ملخص القصة

- ٧٠ ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٧٠ رابعًا: وجه الشاهد
- ٧١ خامسًا: العبرة
- ٧١ الفصل الرابع عشر: قوم سبأ الذين كفروا النعمة
- ٧١ أولاً: نص الآية
- ٧١ ثانيًا: ملخص القصة
- ٧١ ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٧١ رابعًا: وجه الشاهد
- ٧١ خامسًا: العبرة
- ٧٢ الفصل الخامس عشر: أقوام الأنبياء المكذبون - قوم نوح، عاد، ثمود، مدين
- ٧٢ أولاً: نصوص الآيات
- ٧٢ ثانيًا: ملخص القصة
- ٧٢ ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٧٣ رابعًا: وجه الشاهد
- ٧٣ خامسًا: العبرة

٧٣	الفصل السادس عشر: أصحاب الفيل الذين باعوا الآخرة بخدمة ملك متجبر.....
٧٣	أولاً: نص الآية.....
٧٣	ثانياً: ملخص القصة.....
٧٣	ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين.....
٧٤	رابعاً: وجه الشاهد.....
٧٤	خامساً: العبرة والعظة.....
٧٤	الفصل السابع عشر: قوم نوح - الذين ركنوا إلى الدنيا وكذبوا نبيهم.....
٧٤	أولاً: نص الآية.....
٧٤	ثانياً: ملخص القصة.....
٧٥	ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين.....
٧٥	رابعاً: وجه الشاهد.....
٧٥	خامساً: العبرة والعظة.....
٧٥	الفصل الثامن عشر: قوم هود عاد الذين باعوا قوتهم بالمعصية.....
٧٥	ثانياً: ملخص القصة.....
٧٥	ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين.....

- ٧٦..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٧٦..... خامسًا: العبرة والعظة
- ٧٦..... الفصل التاسع عشر: قوم صالح - ثمود الذين اختاروا الدنيا على آية الناقة
- ٧٦..... ثانيًا: ملخص القصة
- ٧٦..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٧٦..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٧٦..... خامسًا: العبرة والعظة
- ٧٧..... الفصل العشرون: قوم شعيب أصحاب مدين الذين باعوا دينهم بالميزان
- ٧٧..... أولاً: نص الآية
- ٧٧..... ثانيًا: ملخص القصة
- ٧٧..... ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٧٧..... رابعًا: وجه الشاهد
- ٧٧..... خامسًا: العبرة والعظة
- ٧٧..... الفصل الحادي والعشرون: بنو إسرائيل الذين اتخذوا العجل
- ٧٧..... أولاً: نص الآية

٧٨	ثانيًا: ملخص القصة
٧٨	ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
٧٨	رابعًا: وجه الشاهد
٧٨	خامسًا: العبرة والعظة
٧٨	الفصل الثاني والعشرون: بنو إسرائيل الذين رفضوا دخول الأرض المقدسة
٧٨	أولًا: نص الآية
٧٨	ثانيًا: ملخص القصة
٧٩	ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
٧٩	رابعًا: وجه الشاهد
٧٩	خامسًا: العبرة والعظة
٧٩	الفصل الثالث والعشرون: بنو إسرائيل الذين طلبوا البدل من المنّ والسلوى
٧٩	أولًا: نص الآية
٧٩	ثانيًا: ملخص القصة
٨٠	ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
٨٠	رابعًا: وجه الشاهد

- ٨٠ خامسًا: العبرة والعظة
- ٨٠ الفصل الرابع والعشرون: امرأة نوح وامرأة لوط – من خانتا الدين
- ٨٠ أولاً: نص الآية
- ٨٠ ثانيًا: ملخص القصة
- ٨٠ ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٨١ رابعًا: وجه الشاهد
- ٨١ خامسًا: العبرة والعظة
- ٨١ الفصل الخامس والعشرون: الذين اشترطوا القربان تأكله النار
- ٨١ أولاً: نص الآية
- ٨١ ثانيًا: ملخص القصة
- ٨١ ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٨٢ رابعًا: وجه الشاهد
- ٨٢ خامسًا: العبرة والعظة
- ٨٢ الفصل السادس والعشرون: الذين اغتروا بالدنيا من بني إسرائيل
- ٨٢ أولاً: نص الآية

٨٢	 ثانياً: ملخص القصة
٨٢	 ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين
٨٢	 رابعاً: وجه الشاهد
٨٣	 خامساً: العبرة والعظة
٨٣	 الفصل السابع والعشرون: الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل
٨٣	 أولاً: نص الآية
٨٣	 ثانياً: ملخص القصة
٨٣	 ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين
٨٣	 رابعاً: وجه الشاهد
٨٣	 خامساً: العبرة والعظة
٨٤	 الفصل الثامن والعشرون: الذين اشتروا الضلالة بالهدى
٨٤	 أولاً: نص الآية
٨٤	 ثانياً: ملخص القصة
٨٤	 ثالثاً: زبدة أقوال المفسرين
٨٤	 رابعاً: وجه الشاهد

- ٨٤ خامسًا: العبرة والعظة
- ٨٤ الفصل التاسع العشرون: من أثر الحياة الدنيا على الآخرة
- ٨٤ أولاً: نص الآية
- ٨٥ ثانيًا: ملخص القصة
- ٨٥ ثالثًا: زبدة أقوال المفسرين
- ٨٥ رابعًا: وجه الشاهد
- ٨٥ خامسًا: العبرة والعظة
- ٩٧ الباب الخامس:
- ٩٧ نماذج من السنة ممن باع الدين بثمان مهين
- ٩٧ الفصل الأول ذو الخويصرة التميمي (أصل الخوارج)
- ٩٨ الفصل الثاني كعب بن الأشرف اليهودي
- ٩٩ الفصل الثالث: الذي غل من الغنيمة
- ١٠٠ الفصل الرابع: الذي غلَّ شراكًا
- ١٠١ الفصل الخامس: الذين غلَّ في غزوة حنين
- ١٠١ الفصل السادس: أبو لبابة وربط نفسه في المسجد
- ١٠٢ الفصل السابع: هوازن يوم حنين

١٠٣	الفصل الثامن: الذين تركوا الهجرة إلى المدينة
١٠٣	الفصل التاسع: من ارتد بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأجل الدنيا
١٠٤	الفصل العاشر: الذين نافقوا مع عبد الله بن أبي
١١٢	الباب السادس:
١١٢	شواهد قرآنية عامة على من باعوا الدين بالدنيا
١١٢	من الشواهد:
١١٢	أهل الدعاء للدنيا دون الآخرة
١١٢	مستحبو الدنيا على الآخرة
١١٣	المفرطون في الهوى
١١٣	الغافلون بالمتاع
١١٣	المعرضون عن آيات الله
١١٣	الذين يبيعون آيات الله بثمان قليل
١١٤	العبرة الجامعة
١١٥	الباب السابع:
١١٥	صور وأمثلة فيمن باع الدين بثمان مهين بأدلة السنة
١١٥	❦ - أئمة الضلالة

- ١١٦ - طلب العلم لغير الله
- ١١٧ - من فتن بالمال والشرف
- ١١٧ - من غبن فباع الدين بعرض قليل
- ١١٧ - التهاافت على الدنيا بتعطش
- ١١٨ - المرائي من طلاب العلم
- ١١٨ - العالم الداعي للبدع
- ١١٩ - من يبيع الدين بملك زائل
- ١١٩ - اتباع علماء السوء والضلال
- ١١٩ - أصحاب القتل والقتال والفتن
- ١٢٠ - الجهال بدين الله
- ١٢٠ - من اغتر ببهارج الدنيا
- ١٢٠ - الانغناس في طلب المال
- ١٢١ - من ابتعد عن مجالس الذكر والطاعة
- ١٢١ - من يضيع الأمانة
- ١٢١ - المعجب بنفسه المتبع لهواه

- ١٢٢ ١٧- الواقع في الخيانة البعيد عن الأمانة
- ١٢٢ ١٨- ولاية الجاهل
- ١٢٢ ١٩- الغارق في الفتن الغير مبالي بدينه المسترسل في المعاصي
- ١٢٣ ٢٠- المفتون بالنساء الذي ليس له شغل إلا هن
- ١٢٣ ٢١- الكاسيات العاريات
- ١٢٤ ٢٢- أصحاب الزخرفات للمساجد
- ١٢٤ ٢٣- من يضيع الصلوات
- ١٢٤ ٢٤- المرائي وطالب السمعة
- ١٢٥ ٢٥- من يريد بطلب العلم الدنيا
- ١٢٥ ٢٦- طلب الرياسة في الدين
- ١٢٥ ٢٧- من كتم العلم
- ١٢٦ ٢٨- من أفتى بغير علم
- ١٢٦ ٢٩- من جاهد في سبيل الله ليقال عنه
- ١٢٦ ٣٠- من جعل الدين وسيلة للمال
- ١٢٨ الباب الثامن:
- ١٢٨ في الثبات على الدين ومجاهدة النفس

- وإليك بعض تلك الأسباب المعينة على الثبات على هذا الدين: ١٢٩
- السبب الأول: الثبات على الحق ١٢٩
- السبب الثاني: الاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ١٣٠
- السبب الثالث: الصبر على الفتن ١٣٠
- السبب الرابع: الصبر على البلاء والشدائد ١٣٠
- السبب الخامس: جهاد النفس ومحاسبتها ١٣٠
- السبب السادس: لزوم الجماعة ونبذ الفرقة ١٣٠
- السبب السابع: الاعتصام بالكتاب والسنة ١٣١
- السبب الثامن: الحذر من الهوى والزيغ ١٣١
- السبب التاسع: الدعاء بالثبوت واليقين ١٣١
- السبب العاشر: التوكل على الله والتفويض إليه ١٣١
- السبب الحادي عشر: الإخلاص سبب الثبات ١٣١
- السبب الثاني عشر: القدوة الصالحة وأثرها في الثبات ١٣٢
- السبب الثالث عشر: المداومة على الطاعات وحسن العبادات ١٣٢
- السبب الرابع عشر: التفكير في الآخرة وزهد الدنيا ١٣٢

السبب الخامس عشر كثرة ذكر الله وأثره في التثبيت	١٣٢
السبب السادس عشر طلب العلم الشرعي والبصيرة فيه	١٣٣
السبب السابع عشر الصدق مع الله ومع النفس	١٣٣
السبب الثامن عشر الإكثار من تلاوة القرآن وتدبره	١٣٣
السبب التاسع عشر قيام الليل والالتجاء إلى الله	١٣٣
السبب العشرون صحبة الأخيار وترك بطانة السوء	١٣٤
السبب الحادي والعشرون اليقين في وعد الله والرضا بقضائه	١٣٤
السبب الثاني والعشرون التدرج في الطاعات وعدم الاستعجال	١٣٤
السبب الثالث والعشرون ترك التساهل في المعاصي	١٣٤
السبب الرابع والعشرون الحياء من الله ومراقبته	١٣٥
الخاتمة	١٣٦
المحتويات	١٣٨
تلخيص الفوائد	١٦٤

[illegible]



صدر حديثاً للمؤلف



عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
 +٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
 عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهداني
 +٩٦٧ ٧٧٠١٢٥٢٢
 حضرموت العامري - جوار مسجد النور - الشارع الشرقي من النادي
 +٩٦٧ ٥٣٤١٥٩٨ - +٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣
 حضرموت سيلون شعوح - مقابل مسجد ابراهيم - ومدرسة شعوح للبنين
 +٩٦٧ ٧٨٣٢٤٦٥١٣
 alshafibooks@gmail.com

دار الإمام الشافعي
 للطباعة والنشر والتوزيع
 اليمن - عدن